نفائس الوصايا

منهج توجيهي للمعاهد القرآنية والمراكز الصيفية

إعداد

الدكتور أنس أحمد كرزون

دار نور المكتبات



J

الحمد لله المنعم المتفضل ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

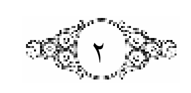
فإن عادة الناس اختيار ما تميل إليه نفوسهم من أطايب الطعام وأحسن اللباس والأثاث، مما ترتاح إليه القلوب وتُسّر بمنظره العيون، وقلّما يخطر ببالهم اختيار أطايب الكلام ونفائس الحِكم والأمثال، التي ترتاح إليها الآذان، وتبتهج لسماعها العقول والأذهان.

وما أحوج شباب الأمة في عصرنا الحاضر الذي ادلهمَّت فيه الخطوب والفتن أن يتمسكوا بالعروة الوثقى، ويعتصموا بحبل الله المتين، ويتبصروا بالأخطار المحدقة بهم، ويفتحوا قلوبهم ومسامعهم لتلك الوصايا النافعة والكلمات الجامعة والحكم الماتعة التي ترسم لهم معالم الطريق، وتأخذ بأيديهم إلى سبيل الحق فهي نعم الرفيق، لأنها مستقاة من مشكاة النبوة، ومن بدائع حكم السلف الصالح، الذين أشرقت نفوسهم بالحكمة، وفاضت قلوبهم بمحبة الناس والشفقة عليهم، فكانت وصاياهم كالطبيب المداوي الذي يشخِّص الداء ويصف الدواء .

ومن أبرز هذه الحكم والوصايا والتوجيهات وصايا المعلمين والمربين لتلاميذهم ووصايا الآباء لأبنائهم.

ولا شك أن حرص الأب على ابنه عاطفة فطرية، فهو يرى فيه فلذة كبده، ومهجة قلبه، وقرة عينه، وامتداد وجوده، وهو مِنْ عمله الذي لا ينقطع بعد موته إذا أحسن تربيته.

وحاجة الابن إلى نصيحة أبيه حاجة أكيدة، وخصوصاً في أوائل الشباب، سنّ الحيوية الدافقة، والإقبال على الحياة، ولا سيما مع قلة التجربة، وكثرة الفتن و انتشار المغريات بالرذيلة، والمعوقات عن الفضيلة، وقوة أعوان السوء، وضعف أعوان الخير .



لهذا تكون نصيحة الأب هنا لها قيمتها وتأثيرها، فهو يعطيه خبرة عمره وثمرة تجربته، وحصاد فكره ومعاناته، وهو يريد أن يستكمل فيه ما نقص عنده ويعوِّض فيه ما فاته، وليس هناك أحد يتمنى لإنسان أن يكون أفضل منه وأسعد وأعلى إلا ولده [١].

وتأمل قول الإمام أبي الوليد الباجي في وصيته لولديه : (اعلما أنه لا أحدٌ أنصح مني لكما، ولا أشفق مني عليكما، وأنه ليس في الأرض مَنْ تطيب نفسي أن يُفضَّل عليَّ غيركما) [٢].

وقد قيل : (من أدَّب ابنه صغيراً قرّت به عينه كبيراً)[٣].

وقيل أيضاً : (عليكم بالأدب، فإنه صاحب في السفر، ومؤنس في الوحدة، وجَمال في المحفل) [٤].

وقال أحد الحكماء : (الأدب غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الجسم) [٥].

وقال آخر : (الكلام الفائق بالخط الرائق نزهة العين وفاكهة القلب وريحانة القلوب) [٦].

وقد حفل تراثنا بوصايا كثيرة من الآباء للأبناء، ونصت آيات القرآن الكريم على أهم تلك الوصايا وأبدعها، وهي وصية سيدنا يعقوب لأبنائه وهو على فراش الموت :

M أَمْ © شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا µ ¶ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ L [٧].

ولا شك أن الوصية بتقوى الله عز وجل هي رأس الوصايا وأساسها وعنوانها، وهي الوصية التي أوصى الله عز وجل بها جميع أنبيائه وعباده، فقال تعالىM h i j k l m n p

(١) مقتبس من تقديم الدكتور القرضاوي لرسالة " إلى ولدي " نظم محمد الأنصاري ص/١٠ .

(٢) من رسالة : وصية الإمام الباجي لولديه – اعتنى بها : جلال علي الجهاني – ص/٢٥، وانظر مختارات من هذه الوصية النفيسة في ثنايا هذا الكتاب.

(٣) جامع بيان العلم وفضله – للإمام ابن عبدالبر – ص/١٠٠

(٤) الكامل للمبرد ١/٦٧.

(٥) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - للثعالبي - ٢/٩٣٥ .

(٦) المرجع السابق .

(٧) سورة البقرة : آية ١٣٣ .



q r s t u v w x y z | } ~ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ © غَنِيًّا حَمِيدًا ١٣١ L [1].

وقد جاء في الحديث عن العرباض بن سارية t قال: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ..)[2].

أهمية التناصح والتواصي :

ما أحوج المسلم إلى التذكير والوصايا النافعة التي توقظ من الغفلة وتغذي القلب، وتقوي الهمة والعزيمة، وترشد إلى طريق السعادة والفلاح.

قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 L.

وقد أورد الطبراني عن ثابت بن عبيد الله بن حصن قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا إلا أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر، ثم يسلم أحدهما على الآخر.

وقال الشافعي: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم[3].

ومما يؤكد أهمية الوصايا في حياة المسلم، ومنزلة أهل الايمان الذين يحرصون على التناصح والتواصي قول الله عز وجل: M ثُمَّ كَانَ مِنَ ´ µ ¶ ¸ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ L [3].

وعن تميم بن أوس الداري t أن النبي ﷺ قال: (الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه،

---

(١) سورة النساء: آية ١٣١.

(٢) رواه الترمذي – رقم/٢٦٧٨، وأبو داود – رقم/٤٦٠٧، وابن ماجه – رقم/٤٢، وأحمد في المسند ٤/١٢٦

(٣) تفسير ابن كثير – ٤/٥٤٧.

(٢) سورة البلد /الآيتان ١٧-١٨.

(٢) رواه مسلم – رقم / ٥٥.





ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم) [٤].

قال الإمام النووي رحمه الله : (ومن النصيحة لله تعالى ولكتابه، إكرام قارئه وطالبه، وإرشاده إلى مصلحته، والرفقُ به، ومساعدته على طلبه بما أمكنه، وتألفُ قلب الطالب، وأن يكون سمحاً بتعليمه في رفق، مُتلطفاً به، ومُحرضاً له على التعلُّم) [٥].

فالنصيحة عماد وأساسٌ لهذا الدين، والكلمة الطيبة تحيي النفوس وتروي ظمأ القلوب

* قال أبو عتبة الخولاني : (رُب كلمةٍ خيرٌ من إعطاء المال) [٦].

* وقال أبان بن مُسلِم : (كلمةُ حكمةٍ لك من أخيك خيرٌ لك من مال يعطيك، لأن المال قد يطغيك، والكلمة تَهديك) [٧].

* وقال الشعبي : (لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام الى أقصى اليمن ليسمع كلمة ينتفع بها فيما يستقبل من عمره ما رأيت أن سفره ضاع) [٨].

* قال عبدالله بن الأعرابي [٩] :

لنا جلساءٌ ما نملُّ حديثهم ... ألبَّاءُ مأمونون غيباً ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علمَ مامضى ... وعقلاً وتأديباً ورأياً مُسَدَّدا

---

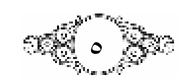
(٤) بهجة المجالس ١ /٥٤.

(٥) التبيان في آداب حملة القرآن – ص / ٣١.

(٦) المرجع السابق ١ /٣٧.

(٧) المرجع السابق ١ /٥٤.

(٩) المرجع السابق ١ /٥١.





نماذج من وصايا العلماء لأبنائهم وتلاميذهم

ما أبدع تلك الوصايا التي لا يملُّ السامع من تكرارها والتأسي بها، وتربية أبناء الأمة على التمسك بها.

* ومن نماذج هذه الوصايا البديعة وصية الإمام جعفر الصادق رحمه الله لابنه موسى حيث يقول له: (يا بني كن لكتاب الله تالياً، وللإسلام فاشياً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهيا، ولمن قطعك واصلاً ...

يا بني إن زرت فَزُر الأخيار، ولا تزُر الفجار، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها، وشجرة لا يخضرُّ ورقها، وأرض لا يظهر عشبها) .

* كما حرص الخلفاء على توجيه الوصايا لمعلمي أبنائهم، ومن نماذج ذلك وصية عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده، حيث قال له : (علّمهم الصدق كما تعلمهم القرآن .. واعلم أن الأدب أولى بالغلام من النسب)[1].

ووصية هارون الرشيد لمؤدب ولده الأمين، والتي يقول فيها: (إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصيِّر يدك عليه مبسوطة، وطاعتك عليه واجبه ... أقرِئه القرآن، وعَرّفه الآثار ورَوِّهِ الأشعار، وعلِّمه السنن، وامنعه الضحك إلا في أوقاته ... ولا تمرَّنَّ بك ساعة إلا وأنت مُغتنمٌ فيها فائدة تفيده إياها ...) [2].

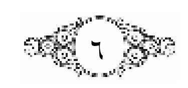
* وعن يوسف بن الحسين قال: قال أحمد بن أبي الحواري :

(صحبت أبا سليمان طول ما صحبته، فما انتفعتُ بكلمة أقوى عليَّ وأهدى لرشدي وأدلَّ على الطريق من هذه الكلمة :

---

(١) لباب الأدب لأسامة بن منقذ – ص/ ٢٣٠.

(٢) شرح مقامات الحريري ٥/ ٢١٥ .





قلت له : أوصني.

قال: أمستوصٍ أنت ؟

قلت: نعم إن شاء الله .

قال:خالف ْ نفسك في كل مراداتها، فإنها الأمارة بالسوء، وإياك أن تحقر أحداً من المسلمين، واجعل طاعة الله دِثاراً، والخوف منه شعاراً، والإخلاص زاداً، والصدق جُنَّة[١١] اقبل مني هذه الكلمة الواحدة ولا تفارقها ولا تغفل عنها، إنه من استحيى من الله عز وجل في كل أوقاته وأحواله وأفعاله بلَّغه إلى مقام الأولياء من عباده) [١٢].

* وأورد الإمام ابن عبدالبر في كتابه (جامع بيان العلم وفضله) أن رجلاً كتب إلى أخٍ له : (إنك قد أوتيت علماً، فلا تطفئ نور علمك بظلمات الذنوب، فتبقى في ظلمةٍ يومَ يسعى أهل العلم بنور علمهم إلى الجنة).

* كما أورد أن يحيى بن خالد بن برمك قال لابنه : (**يا بني**، خذ من كل علمٍ بحظٍ وافر، فإنك إن لم تفعل جهلتَ، وإن جهلتَ شيئاً من العلم عاديته، وعزيزٌ عليَّ أن تعادي شيئاً من العلم) [١٣].

* وأورد الإمام الذهبي عن التابعي الجليل هَرِم بن حيَّان رحمه الله أنه قيل له : أوصنا، فقال : (أوصيكم بخواتيم سورة البقرة) [١٤].

* وقال أحد الحكماء وهو يوصي ابنه : (استعد لحريق الغضب بالأناة، قبل أن تلتهب ناره في لحمك ودمك، فإنَّ إطفاءَه قبل استيثاره سريع، وإذا اشتعل قبَّح محاسنك) [١٥].

---

(١١)أي: وقاية.

(١٢) تهذيب الكمال للمزي – ١ / ٣٧٣ .

(١٣)جامع بيان العلم – ص/ ٧٤.

(١٤) سير أعلام النبلاء – ٤ / ٤٨.

(١٥) المجالسة وجواهر العلم - للدنيوري – ٥ / ١٦٧ .





* وأوصى أحد الحكماء بنيه، فقال لهم : (أصلحوا ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة فيستعير من أخيه ثوبه، ومن صديقه دابته، ولايجد من يعيره لسانه) (١٦).

* ومن أبرز الوصايا التي احتفظت بها المصادر من العصر الجاهلي : وصايا أكثم بن صيفي حكيم العرب وقاضيها(١٧) ومنها قوله : (يابني قد أتت عليَّ مائتا سنة، وإني مزودكم من نفسي: عليكم بالبر فإنه ينمي العدد، وكفوا ألسنتكم، فإن مقتل الرجل بين فكيه..ومن قنع بما هو فيه قرَّت عينه،..البطر عند الرخاء حمق،..ولاتغضبوا من اليسير فإنه يجني الكثير، ولا تجيبوا فيما لا تُسألون عنه، ولا تضحكوا مما لا يُضحك منه، ..ولا تمنعكم مساوئ رجل من ذكر محاسنه) (١٨).

* وتزداد حاجة الأبناء لوصايا الآباء إذا أصبح الأب كبيراً في السن، عاجزاً عن متابعة أبنائه والوقوف إلى جانبهم في معترك الحياة، ولهذا قال عبيدة بن الطيب لأبنائه :

أُبني إني قد كبرتُ ورابني ... بصري، وفيَّ لمصلح مستمتعُ

أوصيكمُ بتقى الإله، فإنه ... يعطي الرغائب من يشاء ويمنعُ

وببرِّ والدكم وطاعة أمره ... إن الأبرَّ من البنين الأطوعُ

ودعوا الضغينة، لاتكن من شأنكم ... إن الضغينة للقرابة توضعُ

واعصوا الذي يُزجى النمائم بينكم ... متنصِّحاً، ذاك السهام المنقع(١٩)

(١٦) لباب الآداب – لأسامة بن منقذ – ص/ ٢٠.

(١٧) أكثم بن صيفي التميمي، حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين، عاش زمناً طويلاً، وأدرك الاسلام وقصد المدينة في مائة من قومه يريدون الاسلام فمات في الطريق، وهو المعني بقوله تعالى : ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ (١٠٠)﴾ الأعلام ٢/ ٦.

(١٨)وصايا الآباء الى الأبناء – للدكتور محمود شاكر سعيد – ص/ ٦٤ نقلاً عن : المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني – ص/ ١٤.

(١٩)مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي – للأستاذ أحمد قبش – ص/ ٥١١.





وهكذا أثمرت هذه الوصايا، وانتفع بها الناس جيلاً بعد جيل، لأنها صادرة من قلوب نابضة بالإيمان ، وأفواه تشدو بينابيع الحكم، وكل إناء بالذي فيه ينضح.

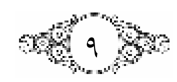
وقد وفقني الله عز وجل لاختيار مجموعة من نفائس الوصايا الموجهة من الآباء لأبنائهم، ومن المعلمين والمربين لتلاميذهم(٢٠)، لتكون نبراساً يضيء طريق الهداية للشباب، ومنهجاً تربوياً لأبنائنا طلاب المعاهد القرآنية والمراكز الصيفية، ومعيناً ينهل منه الدعاة والخطباء.

سائلاً المولى عز وجل أن يوفقنا جميعاً لما فيه رضاه،

وأن يجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم نلقاه، والحمد لله رب العالمين.

الدكتور أنس أحمد كرزون

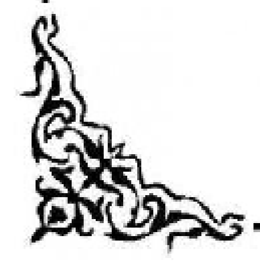
(٢٠) وقد اكتفيت بهذين النوعين من الوصايا كمنهج لطلاب العلم ومعاهد تحفيظ القران الكريم، وهناك أنواع أخرى من الوصايا حفلت بها كتب الأدب والتراجم، ومنها : وصايا الخلفاء إلى أمراء الجيوش وولاة الأمصار، ووصايا الزواج، والوصايا على فراش الموت، ومن أبرز الكتب التي تحدثت عن هذه الوصايا : وصايا العلماء عند حضور الموت للإمام أبي سليمان الربعي (ت ٣٧٩هـ) وكتاب : الثبات عند الممات للإمام ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ).

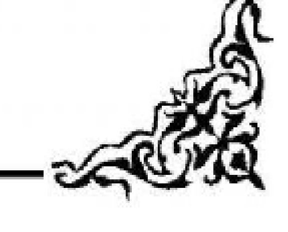


حياة الصحابة على
مائدة القرآن

من نفائس الوصايا في القران الكريم والسنة النبوية

- **من وصايا الأنبياء عليهم السلام لأبنائهم.**
- **وصايا لقمان لابنه.**
- **وصية الرسول ﷺ لابن عمه عبدالله بن عباس** رضي الله عنهما.
- **وصايا نبوية جامعة**







من وصايا الأنبياء عليهم السلام لأبنائهم

قال الله عز وجل: M V W X Y Z [\ ] ^ ` a b c

e f g h i j k l m n o

q r s t u v w x y z { | } ~ لَكُمُ

ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ © شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ

لِبَنِيهِ مَا ´ µ ¶ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ

إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ L

إن أعظم شيء في الوجود معرفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده وعبادته، وهي أساس الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

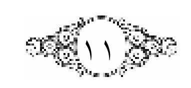
7 8 M V W X Y Z [\ ] ^ L.

أي : ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره، بتركه الحق إلى الضلال، فمن ترك طريقه ومسلكه وملتـه فهـو السفيه.

وأي سَفَهٍ أعظم من هذا ؟ بل أي ظلم أكبر من هذا ؟ وقد قال الله سبحانه : M A B C D L.

وتأمل قول المولى عز وجل لإبراهيم عليه السلام، حيث أمره بالإخلاص له والاستسلام فأجاب إلى ذلك.

7 8 Mk l m n o q r s t u L.



وحمل سيدنا إبراهيم لواء التوحيد وأوصى به أبناءه.

. L z y x w v M 8 7

أي : وصى إبراهيم بهذه الملة – وهي الإسلام لله – بنيه، كما وصى يعقوب أبناءه بذلك، والإسلام هو ملة الأنبياء قاطبة، وإن تنوعت شرائعهم.

M } | { ~ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ L [٢١].

أي : أحسنوا في حال الحياة والزموا هذا الدين ليرزقكم الله الوفاة عليه، فإن المرء يموت على ما عاش عليه، ويبعث على ما مات عليه، فالله الكريم سبحانه يوفق من قصد الخير بأن يثبّته عليه حتى يموت[٢٢].

وهكذا أرشد سيدنا إبراهيم عليه السلام بنيه في لحظات حاسمة إلى التمسك بدين الإسلام، الذي هو فخرهم ومنارهم، وقد اصطفاه الله لهم مدة بقائهم وحياتهم إلى أن يلقوا ربهم، وأكد عليهم أن يموتوا على هذه الوصية.

وعمل الأبناء البررة بوصايا الآباء الخَيِّرة، وخلّدهم القرآن، وجاء التفصيل والبيان لوصية يعقوب بن إسحاق الذي عمل بوصية جده إبراهيم عليهم السلام.

قال تعالى : M﴿١٣٢﴾ أَمۡ © شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا ´ µ ¶

¸ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ L [٢٣] .

أم كنتم شهداء : أي ما كنتم حضوراً – معشر المستمعين للقرآن – لهذا الأمر الجليل، الذي تم في مجلس مهيب، ضم يعقوب عليه السلام - وهو يحتضر - وأولاده الاثني عشر حوله.

---

(٢١) سورة البقرة آية / ١٣٢ .

(٢٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٨٥ .

(٢٣) سورة البقرة آية / ١٣٣.



لقد ألقى يعقوب وصيته الأخيرة بأسلوب الاستفهام، وطرح قضيته التي يريد أن يطمئن عليها بصيغة الاستعلام، ليعرف ما في نفوسهم، وما تكنّه سرائرهم، وما تنطوي عليه قلوبهم، وليعلم ثباتهم على الدين ومعرفتهم به، والوثنيات تحيط بهم من كل جانب بأشكال وألوان، وكأنه بأسلوب الاستفهام يريد أن يحثهم وينبههم إلى نفاسة ما رباهم عليه، وقدر ما نشَّأهم على مفاهيمه وهديه، ردحاً غير قصير من الزمن، حثاً على الاستمرار والتمسك به، فقال : Mمَا ´ µ ¶ L؟.

فأجابوه جميعاً دون تردد أو تلعثم : Mنَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ L، ولم يقولوا : نعبدالله، بل قالوا: نعبد إلهك، لأن إضافة (إله) إليه وإلى آبائه، تفيد جميع الصفات التي كان يعقوب وأبناؤه يصفون الله بها، ويلقّنها لأبنائه منذ نشأتهم، فمعرفتهم بالله سبحانه وتعالى كانت من خلال أبيهم وأسلافهم، وشبُّوا مع الأيام وهم يرون أباهم شديد التعلق بالله والتوكل عليه، فعرفوا ذلك، ولهذا قالوا : إلهك وإله آبائك.

وهذا يدل على معرفتهم بالدين حقاً، وبما تعلموه صدقاً، فليطمئنَّ الأب يعقوب على غرسه الذي رعاه، وثمر سعيه الذي قد نضج وأينع ورأته عيناه(٢٤).

وفي هذا إرشاد الى ضرورة تخصيص الأبناء بهذه الوصية وحثهم على التمسك بالإسلام، لأن الأب مسؤول عن تربيتهم، وهو أكثر الناس شفقة بهم ومحبة لهم وخوفاً عليهم من الشقاء والعذاب وسوء المصير.

---

(٢٤) ينظر كتاب : آباء وأبناء (ملامح تربوية في القرآن الكريم) للدكتور فاروق حمادة ص/ ٨٧ وما بعدها.





وصية لقمان لابنه

- , + *) ' & % $ # " ! M 8 7

? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 /

M L K J I H G F E D C B A

\ [Z Y X W V U T S R Q P O N

n m l k i h g f d c b a ` _ ^]

} | { z y x w v u t s r q o

~ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ © ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ´ µ ¶ ¸ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن à âأَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ç L .

أعظم وصايا الآباء للأبناء مانص عليه الكتاب العزيز من وصية لقمان الحكيم لابنه، في سورة سميت باسمه، وهي وصية جديرة أن يتخذها الآباء نموذجاً يحتذى، فيما ينبغي التركيز عليه والاهتمام به من موعظة الأبناء، مع روعة البيان الذي يقنع العقول ويحرك المشاعر، ويدعو للامتثال والتنفيذ، إنها وصية من أب آتاه الله الحكمة[٢٥] فكان بحكمته موحداً لله تعالى وداعياً إلى توحيده.

والحكمة موهبة من الله عز وجل يؤتيها من يشاء من عباده، كما قال تعالى :

M µ ¶ ¸ يَشَآءُۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ

(٢٥) من تقديم الدكتور يوسف القرضاوي لرسالة (إلى ولدي) نظم : محمد عبدالله الأنصاري ص/١١.



ﭐلۡأَلۡبَٰبِ ﰉ L[٢٦].

والحكمة تقتضي الشكر ممن أوتيها :M ! " # $ % & ' (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 L[٢٧] ومن شكرها العمل وكذا النصح بمقتضاها، ولقد نصح لقمان ووعظ، ومن حكمته أنه بدأ بإصلاح ولده، فالرجل الحكيم يهتم بخاصة نفسه وأبنائه قبل الآخرين، وقد خاطب ولده بالإشفاق والمحبة له، فقال : (يابُني)، ثم وجَّه إليه النصح والوصايا النفيسة، والتي تشمل جوانب الحياة، فيما يلتصق بصلة العبد بخالقه سبحانه وصلته بالناس[٢٨]، وتأمل معي هذه الوصايا البديعة :

الوصية الأولى:M < = > ? L فيها التأكيد على توحيد الله عز وجل، والتحذير من الشرك، وعرضت السورة الكريمة في سياق هذه الوصية لبيان وصية الله للإنسان بوالديه، فالواجب على العبد أن يشكر لوالديه ويحسن إليهما، تنبيها على عظمِ حقهما، بعد أن يشكر الله تعالى :QM R S T L.

الوصية الثانية : تتعلق بالإيمان بالآخرة، والحساب والجزاء يوم القيامة واستحضار عظمة الله ومراقبته، فالله سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فكيف تخفى عليه أعمال العباد : M y z { | } ~ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ´ L.

الوصية الثالثة : التأكيد على أداء الصلاة كاملة، والحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على ما يصيبه بسبب ذلك، وتوطين النفس على مواجهة العقبات في طريق الدعوة إلى الله عز

---

(٢٦) سورة البقرة /آية : ٢٦٩.

(٢٧) سورة لقمان /آية : ١٢.

(٢٨) ينظر تفسير موضوعات سور القرآن – للشيخ عبدالحميد طهماز – الجزء٣١ – ص١٥ وما بعدها.





وجـل، 7 8 M µ ¶ ¸ ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ L وبهذا التوجيه الكريم يبرز اهتمام لقمان برفع همة ولده وعزيمته، ليتمكن من تحمـل تكاليف الحياة وهو في مقتبل العمر.

الوصية الرابعة : النهي عن العادات القبيحة والأخلاق السيئة المذمومة، ومنها التكبر عـلى النـاس وتحقيرهم، والتبختر في المشية بطراً وإعجاباً بالنفس، 7 8 M ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨﴾ L .

الوصية الخامسة : التوجيه للأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة، في أدب السير وخفض الـصوت عند الحديث والكـلام مـع النـاس، 7 8 M ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن à ۚ â أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ ç L.

ومعنى (واقصد في مشيك) أي : توسط فيه، فالقصد هو الاعتـدال بـين الإسراع المُـذهب للبهـاء والوقار، وبين الإبطاء الذي يدل على الكسل والضعف، وقد يكون المراد من القصد التواضع.





نماذج أخرى لوصايا لقمان:

حفلت كتب الأدب والتراجم بنماذج كثيرة لوصايا لقمان. ومن أبرزها :

* **يابني**، زاحم العلماء بركبتيك، وأنصت إليهم بأذنيك، فإن القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرض الميتة بمطر السماء(٢٩).

* **يابني**، لا تضيِّع مالك، وتُصلح مال غيرك، فإن مالكَ ما قدَّمت، ومالَ غيرك ماتركت(٣٠) .

* **يابني**، إياك وكثرة النوم والكسل والضجر، فإنك إذا كسلتَ لم تؤد حقاً، وإذا ضجرتَ لم تصبر على حق(٣١).

* **يابني**، ابتغ العلم صغيراً فإن ابتغاء العلم يشقُّ على الكبير(٣٢).

* **يابني**، لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء، وتماري به السفهاء، وترائي به في المجالس، **يابني** اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً يعلِّموك، ولعل الله يطلع عليهم برحمة فتصيبك معهم(٣٣).

* **يابني**، كذب من قال: إن الشر يُطفأُ بالشر، فإن كان صادقاً فليوقد ناراً إلى جنب نار، فلينظر هل تطفئ إحداهما الأخرى ؟ وإلا فإن الخير يطفئ الشر، كما يطفئ الماءُ النار(٣٤).

* **يابني**، إن مثل أهل الذكر والغفلة كمثل النور والظلمة(٣٥).

---

(٢٩) العقد الفريد – لابن عبدربه – ١٥٣/١ .

(٣٠) المرجع السابق.

(٣١) بهجة المجالس – لابن عبدالبر – ٨٧/٢.

(٣٢) جامع بيان العلم وفضله – لابن عبدالبر – ص/١٠٤ .

(٣٣) المرجع السابق ص/١٢٩ .

(٣٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء – لابن حبان – ص/١٦٧ .

(٣٥) البداية والنهاية – لابن كثير ٢٨٩/٩.



وصية الرسول e لابن عمه عبد الله بن عباس t

عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال : **(يا غلام، إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبهُ الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء لم يضرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلام وجفَّت الصحف)** [٣٦] .

وفي رواية : **(احفظ الله تجده أمامك، تعرَّفْ إلى الله في الرخاء يعرِفْك في الشدَّة، واعلم أنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أنَّ النَّصر مع الصبر، وأنَّ الفَرَج مع الكَرْب، وأنَّ مع العسر يسراً)** [٣٧].

قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى :

(هذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة، وقواعد كلية من أمور الدين) [٣٨].

ومعنى (احفظ الله يحفظك) أي : احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه، فمن فعل ذلك حفظه الله في مصالح دنياه، وحفظه في دينه من الشبهات المُضِلَّة والشهوات المحرمة، وحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإسلام وحسن الخاتمة، وثبته بالقول الثابت في القبر عند سؤال الملكين[٣٩]والجزاء من جنس العمل .

---

(٣٦) رواه الترمذي رقم/ ٢٦٣٥ وقال : حديث حسن صحيح .

(٣٧) رواه أحمد في مسنده ١ /٣٠٧.

(٣٨) جامع العلوم و الحكم - ١/ ٤٦٢.

(٣٩) تنظر رسالة : نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس – للإمام ابن رجب الحنبلي.



ومعنى (احفظ الله تجده تجاهك) وفي رواية: (أمامك) أي: يحوطك وينصرك ويحفظك ويوفقك ويسدِّدك، قال تعالى: M إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ L [٤٠].

ومعنى (رفعت الأقلام وجفَّت الصحف) : أن ماكتبه الله عز وجل وقدَّره قد انتهى، فلا تبديل لكلمات الله.

ومما يتضمنه هذا الحديث من فوائد ودروس وعبر :

١ - المتقون الأبرار يحفظهم الله من الشرور ويسدد خطاهم .

٢ - من عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامله الله باللطف والإعانة في حال شدته [٤١] .

٣ - العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره، ولابد من طلب الاستعانة بالله U، ومن استعان بغيره فهو المخذول .

٤ - من صبر في مجاهدة نفسه وجهاد أعدائه يكرمه الله U بالنصر والظفر، ومن صبر على الكربات والشدائد كفاه الله شرها، ومنحه اليسر وتفريج الكروب .

٥ - النفع والضر بيد الله وحده، وهو سبحانه المستحق للعبادة والخضوع والتذلل والدعاء .

---

(٤٠) سورة النحل آية / ١٢٨.

(٤١) جامع العلوم والحكم – ١/ ٤٧٤ .



وصايا نبوية جامعة

حفلت كتب الحديث النبوي بمئات الوصايا والتوجيهات النبوية[٤٢] التي تغرس الفضائل وتحذر من الرذائل، وتحث على التسابق في ميادين الأعمال الصالحة، بأسلوب تربوي بديع، يشخِّص الداء ويصف الدواء، بألفاظ موجزة حافلة بالمعاني الكثيرة، وهي جوامع الكلم التي اختص بها النبي ﷺ فقد روى الشيخان عن أبي هريرة t أن رسول الله ﷺ قال: (فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍ) وذكر منها: (أعطيت جوامع الكَلِم) .

وفي رواية: (بعثتُ بجوامعِ الكلم) [٤٣].

وقد كان الرسول المربي ﷺ المعلم الأول للخير في هذه الدنيا، في جمال بيانه، وفصاحة لسانه، وحلاوة أسلوبه، ولطف اشارته، ورحابة صدره، ورقة قلبه، وبالغ عنايته، وحرصه على هداية الناس[٤٤]، وتأمل قول الله عز وجل: M | { ~ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ © رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ L[٤٥].

وإليك بعض النماذج المختارة من نفائس هذه الوصايا النبوية الجامعة:

* عن أبي ذر t أنه قال: (**أمرني خليلي ﷺ بسبع**:

١- أمرني بحب المساكين والدنوِّ منهم .

٢- وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني ولا أنظر إلى من هو فوقي[٤٦] .

٣- وأمرني أن أصل الرحم و إن أدبرت .

---

(٤٢) ينظر كتاب: بدائع التوجيهات النبوية (منهج تربوي توجيهي للمعاهد القرآنية) - للمؤلف –

(٤٣) رواه البخاري – رقم / ٢٨١٥ ، ومسلم –رقم /٥٢٣.

(٤٤) ينظر كتاب: الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم – للشيخ عبدالفتاح أبو غدة – ص/١٩ .

(٤٥) سورة التوبة / آية ١٢٨.

(٤٦) وذلك في أمور الدنيا، وأما في الطاعة والتقرب الى الله عز وجل فالمطلوب فيه التنافس والتسابق.





٤ - وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً .

٥ - وأمرني أن أقول الحق وإن كان مراً .

٦ - وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم .

٧- وأمرني أن أُكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش) [٤٧].

* وعن أبي هريرة t أن رسول الله ﷺ قال : **(من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهنَّ أو يعلِّم من يعمل بهنَّ ؟**

فقال أبو هريرة : فقلت : أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعدَّ خمساً، فقال :

١ - اتق المـحارم تكن أعبد الناس .

٢ - وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس .

٣- وأحسِنْ إلى جارك تكن مؤمناً .

٤ - وأحبَّ للناس ما تحبُ لنفسك تكن مسلماً .

٥ - ولا تكثر الضحك، فإنَّ كثرة الضحك تميت القلب[٤٨].

* وعن معاذ بن جبل t أن رسول الله ﷺ أخذ بيده يوماً، ثـم قـال : (يامعـاذ والله إني لأحبـك)، فقال معاذ : بأبي أنت وأمي يارسول الله، وأنا والله أحبك. قال ﷺ : (أوصيك يامعاذ لا تـدعنَّ في دُبُـر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) [٤٩].

* عن أبي أيوب الأنصاري t أن رجلاً قال : يارسول الله ، أخبرني بعمل يُدخلني الجنة ويباعـدني من النار.

---

(٤٧) رواه الإمام أحمد ٥/ ١٥٩، وابن حبان في صحيحه(٢٠٤١)، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٢١٦٦).

(٤٨) رواه الترمذي– ٢/ ٥٠، والإمام أحمد ٢/ ٣١٠، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة– رقم/ ٩٣٠.

(٤٩) رواه أبو داود – رقم/ ١٥٢٢ والنسائي ٣/ ٥٣ واللفظ له، وابن حبان – رقم/ ٢٠٢٠ والحاكم وصححه – ١/ ٢٧٣.



فقال النبي ﷺ: (تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتَصِلُ الرحم) (٥٠).

وفي رواية عن معاذ بن جبل t قال: قلت: يارسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار.

قال ﷺ: (لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على مَنْ يسَّره الله عليه: تعبدالله لاتشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان وتحج البيت) (٥١).

وقد قال ﷺ: (لقد سألت عن عظيم) وذلك لأن دخول الجنة والنجاة من النار أمر عظيم جداً، ولأجله أنزل الله الكتب وأرسل الرسل، فمن أقبل على طاعة الله يسَّر الله له طريق الهداية والسعادة(٥٢).

* وعن أبي موسى الأشعري t قال: قال لي رسول الله ﷺ: ياعبدالله بن قيس، قلت: لبيك يارسول الله. قال: (ألا أدلك على كلمةٍ من كنزٍ من كنوز الجنة).

قلت: بلى يارسول الله، فداك أبي وأمي، قال: (لاحول ولا قوة إلا بالله) (٥٣).

* وعن وابصة بن معبد t قال: أتيت رسول الله ﷺ، فقال: جئتَ تسأل عن البر؟ قلت: نعم، فقال: (استفت قلبك، البر مااطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردَّد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك) (٥٤).

فالقلب العامر بمحبة الله عز وجل يميّز بين البر والإثم، فإذا لم يطمئن لفعل شيء واضطربت نفسه ونفر منه، وكره أن يطلع الناس عليه فهو الإثم.

* وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: (اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل

---

(٥٠) رواه البخاري – رقم /١٣٩٦، ومسلم – رقم /١٣.

(٥١) رواه الترمذي - -رقم / ٢٦١٩ وقال: حديث حسن صحيح،
وابن ماجه – رقم / ٣٩٧٣، وأحمد في المسند ٥ / ٢٣١.

(٥٢) ينظر: جامع العلوم والحكم – للإمام ابن رجب الحنبلي – ٢ / ٩٧.

(٥٣) رواه البخاري – رقم/٣٩٦٨.

(٥٤) رواه الامام أحمد في المسند ٤ /٢٢٨ والدارمي ٢ /٢٤٦.





موتك) [٥٥].

وفي هذه الوصايا توجيه بديع لاغتنام الأوقات والأعمار والأموال، وتسخيرها في طاعة الله عز وجل ، والتسابق في الخيرات.

* وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبيَّ فقال : (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) [٥٦].

وتأمل الأسلوب التربوي البديع في هذه الوصية حيث أمسك الرسول ﷺ بمنكِبْي ابن عمر تلطفاً وتنبيهاً على أهمية ما يوصيه به، وقد التزم ابن عمر رضي الله عنهما بهذه الوصية، وكان يوصي بها ويؤكد عليها، ويقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك) [٥٧].

* وعن سفيان الثقفي قال : قلت يارسول الله ، قل لي في الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال ﷺ: (قل آمنت بالله ثم استقم) [٥٨].

كلمتان جمعتا كل خير أحاطتا بجوانب الإسلام كلها، ولهذا قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله : (الاستقامة تشمل فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها) [٥٩].

وقد جمعت هاتان الكلمتان شرطي العبادة، وهما: الإخلاص والمتابعة، فالايمان بالله يتضمن الإخلاص له في العبادة، والاستقامة تتضمن التمشي على شريعته U والالتزام بها[٦٠].

* وعن أبي هريرة t أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أوصني، قال :

---

(٥٥) رواه الحاكم في المستدرك – ٤ /٣٠٦ وصححه ووافقه الذهبي.

(٥٦) رواه البخاري - رقم /٦٠٥٣.

(٥٧) المرجع السابق.

(٥٨) رواه مسلم –رقم /٣٨.

(٥٩) جامع العلوم والحكم – ١ /٤١٨.

(٦٠) ينظر : شرح الأربعين النووية – للشيخ ابن عثيمين – ص /٢٣٦.





(لاتغضب)، فردد مراراً، قال (لا تغضب) [٦١].

وفي رواية أن الرجل قال : يارسول الله علّمني شيئاً ولا تكثر عليَّ لعلي أعِيَه، قال : (لا تغضب) [٦٢]. فهذا الرجل طلب من النبي ﷺ أن يوصيه وصية وجيزة جامعة لخصال الخير ليحفظها عنه، فأوصاه النبي ﷺ أن لا يغضب، ثم ردد السؤال مراراً، والنبي ﷺيردد عليه هذا الجواب، فهذا يدل على أن الغضب جماع الشر، وأن التحرز منه جماع الخير[٦٣] والمراد من هذه الوصية الترغيب بالأسباب التي توجب حسن الخلق من التواضع والحلم واحتمال الأذى والصفح، فإن النفس إذا تخلقت بهذه الأخلاق وصارت له عادة أوجبَ لها ذلك البعد عن الغضب عند حصول أسبابه، كما يشمل المعنى مجاهدة النفس لدفع الغضب وكظم الغيظ[٦٤].

وهكذا يوصي النبي المربي الحكيم ﷺ كل إنسان بما تقتضيه حاله، M + , - . . / 0 1 2 3 4 5 L[٦٥].

---

(٦١) رواه البخاري –رقم / ٥٧٦٥.

(٦٢)رواه الترمذي – رقم / ٢٠٢٠.

(٦٣) جامع العلوم والحكم – ١ / ٢٩٧.

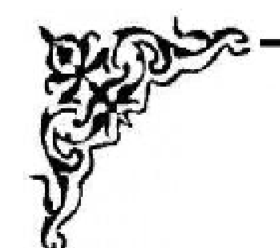
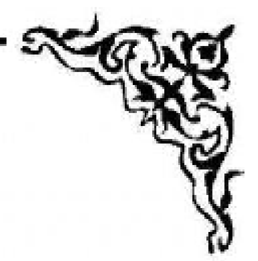
(٦٤) المرجع السابق.

(٦٥) سورة القمر الآيتان /٣-٤.



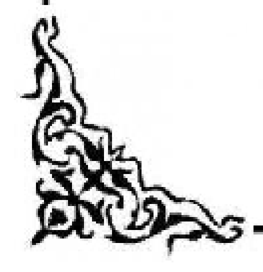
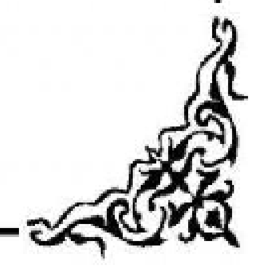


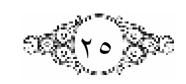
حياة الصحابة على
مائدة القرآن

من وصايا الصحابة والتابعين

- وصايا الصحابة لأبنائهم
- وصايا الصحابة والعلماء لحملة القرآن
- من نفائس وصايا التابعين .
- وصية عتبة بن أبي سفيان ووصية ولدَه عمرو بن عتبة.
- من نفائس وصايا عمر بن عبد العزيز .





وصايا الصحابة لأبنائهم

الصحابة الكرام رضي الله عنهم تلاميذ مدرسة النبوة، وقد حازوا درجات السبق في العلم والعمل، وعمروا البلاد التي انتشروا فيها بالرحمة والعدل، وحفلت تراجمهم وسيرهم ببدائع المشاهد والقصص، وروائع الحكم والوصايا لتلاميذهم وأبنائهم(٦٦).

وإليك مقتطفات من هذه الوصايا التي تعد نموذجاً لاهتمام هذا الجيل القرآني بتربية أبنائهم وغرس الفضائل في نفوسهم .

*** وصية عمر بن الخطاب t :**

كتب عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله رضي الله عنهما وصية قال فيها : (أما بعد : فإن من اتقى الله وقاه، ومن اتكل عليه كفاه، ومن شكر له زاده، ومن أقرضه جزاه، فاجعل التقوى عمارة قلبك، وجلاء بصرك، فإنه لاعمل لمن لا نيَّة له، ولا خير لمن لا خشية له) (٦٧) .

*** وصية علي بن أبي طالب t :**

قال علي بن أبي طالب لابنه الحسن رضي الله عنهما :

يا بني : رأس الدين صحبة المتقين، وتمام الإخلاص اجتناب المحارم، وخير المقال ما صدَّقه الفِعال.

اقبل عذر من اعتذر إليك، واقبل العفو من الناس، وأطع أخاك وإن عصاك، وَصِلْهُ وإن جفاك) (٦٨).

*** وصية سعد بن أبي وقاص t :**

وقال سعد بن أبي وقاص t يوصي ولده :

(يا بني، إياك والكِبْر، وليكن فيما تستعين به على تركه عِلمُكَ بالذي منه كنتَ، والذي إليه تصير .

---

(٦٦) ينظر كتاب : صحابة رسول الله e وجهودهم في تعليم القرآن الكريم والعناية به - للمؤلف - .

(٦٧) العقد الفريد ٣/١١٤ .

(٦٨) كنز العمال ٦/٢٦٩ .





وكيف الكِبْر على النطفة التي منها خُلقت، والرحم التي منها قُذفت، والغذاء الذي به غُذيت؟) (٦٩).

(يا بني، إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإنها مالٌ لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقرٌ حاضر) (٧٠) .

*** وصية عبادة بن الصامت t لولده :**

عن عطاء بن أبي رباح قال : سألت الوليد بن عبادة بن الصامت : كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت ؟

قال : جعل يقول : (يا بني اتق الله، واعلم أنَّك لن تتقيَ الله، ولن تبلغ العلم حتى تعبد الله وحده وتؤمن بالقدر خيره وشره) .

قلت : يا أبت كيف لي أن أؤمن بالقدر خيره وشرِّه ؟

قال : (تعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأنَّ ما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإنْ متَّ على غير هذا دخلت النار) (٧١) .

فتأمل هذه النماذج البديعة من تربية الصحابة الأجلّاء لأبنائهم على الرضا بقضاء الله تعالى، وغرس الفضائل في نفوسهم، حتى اللحظات الأخيرة قبل فراق الدنيا.

*** وصية معاذ بن جبل t لولده :**

عن معاوية بن قُرَّة قال : قال معاذ بن جبل لولده : (يا بني إذا صليت فصلِّ صلاة مودِّع، لا تظن أنك تعود إليها أبداً، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين : حسنةٍ قدَّمها، وحسنة أخَّرها) (٧٢).

*** وصية عبد الله بن مسعود t :**

عن الشعبي قال : لما حضر عبد الله بن مسعود الموت دعا ابنه فقال : يا عبد الرحمن بن عبد الله بن

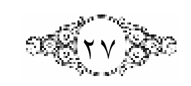
---

(٦٩) العقد الفريد ٢/ ١٨٥ .

(٧٠) العقد الفريد ٣/ ١٦٤ .

(٧١) طريق الهجرتين وباب السعادتين – ص/ ٧٨ وصايا العلماء عند حضور الموت – ص/ ٦٧.

(٧٢) صفة الصفوة لابن الجوزي – ١/ ٢٣٢ .





مسعود، إني أوصيك بخمس خصال فاحفظهن عني :

١) أَظهِر اليأس للناس[٧٣] فإن ذلك غنى فاضل.

٢) ودَعْ مَطلب الحاجات إلى الناس، فإن ذلك فقر حاضر.

٣) ودع ما تعتذر منه من الأمور، ولا تعمل به[٧٤].

٤) وإن استطعت أن لا يأتي عليك يوم إلا وأنت خيرٌ منك بالأمس فافعل.

٥) وإذا صليتَ فصلِّ صلاة مودع، كأنك لا تصلي بعدها[٧٥] .

*** وصية أبي الدرداء t :**

عن راشد بن سعد قال جاء رجل إلى أبي الدرداء ، فقال: أوصني، قال: (أذكر الله في السراء بذكرك في الضراء، واذا ذكرت الموتى فاجعل نفسك كأحدهم) [٧٦].

وعن عبد الله بن مُرَّة أن أبا الدرداء قال: (اعبد الله كأنك تراه، وعُدَّ نفسك في الموتى، وإياك ودعوة المظلوم، واعلم أن قليلاً يغنيك خيرٌ من كثير يلهيك، وأن البر لا يبلى، وأن الإثم لا يُنسى[٧٧] .

*** وصية الحسن بن علي رضي الله عنهما لابنه :**

(يابني : إذا جالستَ العلماء فكن على أن تسمعَ أحرصَ منك على أن تقول، وتعلَّم حُسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت، ولاتقطع على أحدٍ حديثاً وإن طال حتى يُمسك) [٧٨].

وقال t لبنيه ولبني أخيه : (تعلموا العلم، فإنكم إن تكونوا صغار قوم تكونوا كبارهم غداً، فمن لم يحفظ فليكتب) [٧٩] .

---

(٧٣) أي: لاتطمع في أموالهم ودنياهم.

(٧٤) أي : ابتعد عن الأعمال والأقوال التي توقعك في الخطأ مع الناس وتحتاج بسببها إلى الاعتذار منهم.

(٧٥) وصايا العلماء عند الموت – للإمام أبي سليمان الربعي – ص/ ٦٩ .

(٧٦) سير أعلام النبلاء – ٢ / ٣٥٠ .

(٧٧) سير أعلام النبلاء – ٢ / ٣٥٠.

(٧٨) جامع بيان العلم وفضله – لابن عبد البر – ١ / ١٣٠ .

(٧٩) جامع بيان العلم وفضله ص/ ٩٩ .





وصايا الصحابة والعلماء لحملة القرآن الكريم

* روى الإمام الآجري عن **عمر بن الخطاب t** قال: (لقد آتى علينا حينٌ وما نرى أن أحداً يتعلم القرآن يريد به إلا الله عز وجل، فلما كان ها هنا خشيت أن رجالاً يتعلمونه يريدون به الناس وما عندهم، فأريدوا الله بقرءتكم وأعمالكم) [٨٠].

وعلق الإمام الآجري قائلاً: (فإذا كان عمر بن الخطاب قد خاف على قومٍ قرأوا القرآن في ذلك الوقت بميلهم إلى الدنيا، فما ظنك بهم اليوم).

وكلام الإمام الآجري هذا قبل أكثر من ألف عام، فما ظنك بأحوال الناس اليوم؟ وما أحوج حفاظ القرآن للتحلي بالإخلاص والخشية من المولى الجليل سبحانه، واليقظة والحذر من مداخل الشيطان ووساوسه .

* روى الإمام الدارمي أن رجلاً جاء إلى **أبي الدرداء t** فقال له: إن إخواناً لك من أهل الكوفة يُقْرؤونك السلام، ويأمرونك أن توصيهم .

فقال: (أقرئهم السلام، وأْمرهم أن يربطوا القرآن بخزائمهم[٨١]، فإنه يحملهم على السهولة والقصد) [٨٢].

* **وعن عبد الله بن مسعود t** قال :

(ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس

---

(٨٠) أخلاق حملة القرآن وأهله – للإمام أبي بكر الآجري (المتوفى ٣٦٠ هـ) .

(٨١) خزائمهم: جمع خزامة، وهي الحلقة التي تُجعل على أنف البعير، والمراد: التشمير لهذا الأمر، والعناية بتعلُّم القرآن وتعليمه والتمسك به .

(٨٢) رواه الدارمي في سننه – رقم/ ٣٣٣٠، وابن أبي شيبة في مصنفه – ١٠/ ٥٢٧ .





يختالون) [٨٣] .

* **وعن عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنهما أنه قال:

(من جمع القرآن فقد حمل أمراً عظيماً، وقد استدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يُوحى إليه، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يجِدَّ فيمن يجِد[٨٤]، ولا أن يجهل فيمن يجهل وفي جوفه كلام الله عز وجل) [٨٥].

* وعن **الفضيل بن عياض** - رحمه الله - أنه قال :

(حاملُ القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهوَ مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن)[٨٦] .

وقال أيضاً : (ينبغي لحامل القرآن أن لا يكون له حاجة إلى أحد من الناس، وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه) [٨٧].

* وقال **أبو بكر الآجري** - رحمه الله - وهو يتحدث عن أخلاق أهل القرآن:

(ينبغي أن يجعل القرآن ربيعاً لقلبه، يَعْمُر به ما خَرِب من قلبه، يتأدب بآداب القرآن ويتخلق بأخلاق شريفةٍ يتميز بها عن سائر الناس ممن لا يقرأ القرآن .

وأول ما ينبغي له أن يستعمل تقوى الله في السرِّ والعلانية، باستعمال الورع في مطعمه ومشربه وملبسه ومكسبه، بصيراً بزمانه وفساد أهله، فهو يَحْذرهم على دينه، مقبلاً على شأنه، مهموماً بإصلاح ما فسد من أمره، حافظاً للسانه، مميزاً لكلامه، قليل الخوض فيما لا يعنيه، يخاف من لسانه أشدَّ مما يخاف من عدوِّه ... يحذر نفسه أن تغلبه على ما تهوى مما يسخط مولاه .

---

(٨٣) رواه أبو نعيم في الحلية ١ / ١٣٠، والآجري في أخلاق حملة القرآن ص/٥٩ ، وأورده النووي في كتاب التبيان في آداب حملة القرآن – ص / ٤٣.

(٨٤) أي: لا تعتريه شدة الطيش والغضب كما تعتري غيره .

(٨٥) رواه الحاكم في المستدرك ١ /٥٥٢ وصححه ووافقه الذهبي، والآجري في كتابه: أخلاق حملة القرآن - ص/ ٥٦ وغيرهما .

(٨٦) التبيان - للإمام النووي -ص / ٤٤ .

(٨٧) أخلاق حملة القرآن – للإمام الآجري - ص/ ٧٥ .





يتصفح القرآن ليؤدِّب نفسه .. همته إيقاع الفهم لما ألزمه الله من اتباع ما أمر والانتهاء عما نهى، ليست همَّتُهُ : متى أختم السورة؟ همَّتُهُ : متى أستغني بالله عن غيره؟ متى أكون من المتقين ؟ متى أكون من المحسنين ؟ متى أكون من المتوكلين ؟ متى أكون من الخاشعين؟ ... متى أتوب من الذنوب؟ متى أعرف النعم المتواترة ؟ متى أشكر عليها ؟ متى أعقل عن الله الخطاب ؟ متى أفقه ما أتلُو ؟ ... متى أستحي من الله حق الحياء ؟ متى أشتغل بعيبي . متى أُصلح ما فسد من أمري ؟ متى أحاسب نفسي ؟ متى أتزودُ ليوم ميعادي؟ .. متى أتأهبُ ليوم موتي وقد غُيِّب عني أجلي ؟ متى أعمِّر قبري؟

فالمؤمن العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن، فكان كالمرآة يرى بها ما حسن من فعله وما قَبُح منه، فما حذَّره مولاه حَذِره، وما خوَّفه به من عقاب خافَه، وما رَغَّبه فيه مولاه رَغِبَ فيه ورجاه.

فمن كانت هذه صفته أو ما قارب هذه الصفة فقد تلاه حق تلاوته، ورعاه حق رعايته، وكان له القرآن شاهداً وشفيعاً وأنيساً ... ومن كان هذا وصفه نفع نفسه ونفع أهله، وعاد على والديه وعلى ولده كلُّ خير في الدنيا والآخرة) [٨٨] .

وأكد الإمام الآجري رحمه الله على أهمية تمسك حملة القرآن بالأخلاق الفاضلة والحذر من قبيح الأخلاق، لأنهم قدوة لمن حولهم في أقوالهم وأفعالهم، فإذا عمل أحدهم بالأخلاق التي لا تَحسُنُ بمثله اقتدى به الجُهال، فإذا عِيبَ على الجاهل قال: فلانٌ الحامل لكتاب الله فعل هذا، فنحن أولى أن نفعله !! [٨٩].

فليحرص حفاظ القرآن الكريم على التخلقِ بالشيم والخصال الحميدة ليحظوا بالمقام العالي ومقتدين بالرسول ﷺ الذي قالت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن) .

(٨٨) أخلاق حملة القرآن – للإمام الآجري ص / ٣٨-٤٥ . باختصار .

(٨٩) المرجع السابق ص/٥٤.





من نفائس وصايا التابعين

التابعون ثمرات يانعة لمدرسة النبوة، فقد تربوا على أيـدي الـصحابة رضي الله عـنهم، ونهلـوا مـن علمهم وأدبهم، وقد أثنى عليهم الرسول ﷺ فقال: (خير الناس قرني، ثم الـذين يلـونهم، ثـم الـذين يلونهم) [٩٠].

فما أحوجنا أن نحيا في رحاب وصاياهم وتوجيهاتهم البديعة، وأن نتدبر مواعظهم وأقـوالهم، ومـن أبرز هؤلاء التابعين :

*** عروة بن الزبير**[٩١] :

وقد كان يحث أبناءه على أن يتخذوه قدوتهم في طلب العلم،فيقول لهم :

يابني،إن أزهد الناس في العالم أهله، فهلموا إليَّ فتعلَّموا مني، فإنكم توشكون أن تكونوا كبار قـوم، إني كنت صغيراً لا يُنظر إلي، فلما أدركت من السن ما أدركت جعل الناس يسألونني، وما من شيء أشد على امرئٍ مِنْ أن يُسأل عن شيء من أمر دينه فيجهله) [٩٢].

*** الحسن البصري**[٩٣] :

من بدائع وصاياه ومواعظه قوله : (المبادرة عبادالله ! المبادرة ! فإنما هـي الأنفـاس، لـو قـد حُبـست انقطعت أعمالكم التي تقرَّبون بها الى الله عز وجل، رحم الله امرءاً نظر إلى نفسه وبكى على ذنوبه.

---

(٩٠) رواه البخاري –رقم/٦٤٢٨، ومسلم- رقم/٢١٠ .

(٩١) هو ابن الصحابي الجليل الزبير بن عوام t وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة المنورة، ولد عروة بن الزبير سنة ثلاث وعشربن وتوفي سنة تسعين، وهو ابن سبع وستين سنة (سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٢١).

(٩٢) البيان والتبيين - للجاحظ ٢ /٥٥ .

(٩٣) الحسن البصري، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت t وكانت أمه مـولاة لأم المـؤمنين أم سـلمه رضي الله عنهـا، إمـام أهـل البصرة، ولد في خلافة عمر t ، وكان سيد أهل زمانه علماً وعملاً ، توفي سنة ١١٠هـ وعمره ثمان وثمانون سـنة، (سـير أعلام النبلاء ٤ /٥٦٣).





ثم قرأ هذه الآية M ^ _ ` a b c d e f L [٩٤] ثم بكى، وقال: آخر العدد خروج نَفَسك، آخر العدد فراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك) [٩٥] .

ومن أقواله رحمه الله: (كان الرجل يطلب العلم، فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشُّعه وزهد لسانه وبصره) [٩٦].

*** محمد بن واسع[٩٧]:**

هو الإمام والعالم الرباني الذي قال عنه جعفر بن سليمان : (كنت إذا وجدت من قلبي قسوة غدوتُ فنظرتُ إلى وجه محمد بن واسع .

قال حماد بن زيد : جاء رجل لمحمد بن واسع فقال أوصني :

قال : أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة . قال : كيف ؟

قال : ازهد في الدنيا [٩٨].

*** إبراهيم التيمي[٩٩]:**

وأما وصية عابد الكوفة، الإمام القدوة التابعي إبراهيم التيمي فهي بطريقة مختلفة حيث يوجه الوصية لنفسه، وذلك عن طريق التصور أو التمثيل للنفس أنها مرة تكون في الجنة وأخرى تكون في النار، فيقول :

(مثَّلتُ نفسي في الجنة، آكل ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلتُ نفسي في النار،

---

(٩٤) سورة مريم آية /٨٤ .

(٩٥) قصر الأمل - لابن أبي الدنيا – رقم / ١٤٦ .

(٩٦) الزهد للإمام أحمد (سير أعلام النبلاء ٤ /٥٨٣).

(٩٧) هو الإمام محمد بن واسع بن جابر الأزدي البصري ، حدَّث عن أنس بن مالك رضي الله عنه وتوفي سنة ثلاث وعشرين ومائة (سير أعلام النبلاء ٦ /١١٩) .

(٩٨) سير أعلام النبلاء – ٦ /١٢١ .

(٩٩) هو الإمام إبراهيم بن يزيد التيمي، وكان فقيهاً واعظاً ويُعد هو وأبوه يزيد من أئمة الكوفة - توفي ٩٤هـ ولم يبلغ عمره أربعون سنة (سير أعلام النبلاء ٥ /٦٠) .





آكل زقومها، وأشرب من صديدها ، وأعالج سلاسلها وأغلالها، فقلت لنفسي : (أيْ نفسي) أيّ شيء تريدين؟

قالت : أريد أن أُردَّ إلى الدنيا فأعمل صالحاً، قلت : فأنتِ في الأُمنية فاعملي)[١٠٠].

فإذا كانت هذه وصية هذا الإمام لنفسه فهي لتلاميذه من باب أولى، فالنفس إذا تمنت العمل الصالح قبل الموت فالعمل مُتاح لها، والتسابق إلى الخيرات بابُه مفتوح، فلتسارع قبل فوات الأوان.

* طاووس بن كَيْسان [١٠١]:

قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله : ماوعظني أحد أحسن مما وعظني طاووس، كتب إليَّ : (استعن بأهل الخير يكن عملك خيراً كلّه، ولا تستعن بأهل الشر فيكن عملك شراً كله)[١٠٢].

وعن عطاء بن أبي رباح قال :قال لي طاووس : (يا عطاء لا تُنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه، وجعل عليها حجَّابه، ولكن أَنزلها بمن بابه مفتوح لك إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعوه، وضمن لك أن يستجيب لك[١٠٣].

* محمد بن سيرين [١٠٤]:

اشتهر الإمام التابعي الجليل محمد بن سيرين بتعبير الأحلام، ومن وصاياه لكثير ممن يأتونه ليسألوه عن تفسير ما يراه أحدهم في المنام، أن يقول : (اتق الله وأحسِنْ في اليقظة، فإنه لا يضُّركَ ما رأيتَ في المنام) [١٠٥].

---

(١٠٠) محاسبة النفس - لابن أبي الدنيا - ص٢٦.

(١٠١) هو الفقيه القدوة عالم اليمن أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان أدرك خمسين من الصحابة، توفي بمكة في السابع من ذي الحجة سنة ست ومائة (سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٨) ، (صفة الصفوة ٢/ ٥٧٢).

(١٠٢) المجالسة وجواهر العلم – ٢/ ٣٠٧.

(١٠٣) صفة الصفوة ٢ / ٥٧٤.

(١٠٤) هو الامام أبو بكر محمد بن سيرين البصري، مولى أنس بن مالك t ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، وتوفي سنة عشرٍ ومائة (سير أعلام النبلاء – ٤/ ٦٠٦)

(١٠٥) بهجة المجالس – ٢/١٤٨.





- ومن بدائع وصاياه قوله : (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) (١٠٦)

- وأخته هي التابعية الجليلة حفصة بنت سيرين(١٠٧)، من أبرز وصاياها : (يامعشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فإني ما رأيتُ العمل إلا في الشباب) (١٠٨).

*** طلق بن حبيب العنزي(١٠٩) :**

من علماء البصرة ، وكان طيب الصوت بالقرآن ، ومن وصاياه قوله رحمه الله : (إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ، وإن نِعم الله أكثر مِن أن تُحصى ، ولكن أصبِحوا تائبين ، وأمسوا تائبين) (١١٠).

وعن سفيان قال : كان طلق إذا قرأ بكى وأبكى ، وكان إذا قرأ لم يسمعه أحد إلا بكى، مِن رقته وحُسنِ صوته .

وقالت له أمه : (ما أحسن صوتك يا بني بالقرآن ، فليته لا يكون وبالاً عليك غداً في القيامة) ، فبكى حتى غُشي عليه (١١١).

فتأمل وصية تلك الأم المربية وتأمل ثمرة تربيتها وتوجيهها .

---

(١٠٦) سير أعلام النبلاء – ٤ / ٦١١.

(١٠٧) حفصة بنت سيرين محدِّثة فقيهة، عاشت سبعين سنة وتوفيت ١٠١هـ (سير أعلام النبلاء – ٤ / ٥٠٧).

(١٠٨) صفة الصفوة -٤ / ٢٤ .

(١٠٩) هو الإمام طلق بن حبيب ، قال عنه طاووس : ما رأيت أحداً أحسن صوتاً منه ، توفي قبل المائة (سير أعلام النبلاء - ٤ / ٦٠١) .

(١١٠) سير أعلام النبلاء – ٤ / ٦٠٢ .

(١١١) الرقة والبكاء – لابن أبي الدنيا – رقم ٨٧ .





وصية عتبة بن أبي سفيان ووصية ولده عمرو

وصية عتبة بن أبي سفيان

قال عتبة بن أبي سفيان [١١٢] يُوصي مؤدِّب ابنه[١١٣]:

(ليكُن أول ما تبدأ من إصلاح بَنيَّ إصلاحُ نفسك، فإن أعيُنَهم معقودةٌ بعينيكَ، فالحَسنُ عندهُم ما استحسنت، والقبيحُ عندهم ما استقبحت، وعلمهُم كتاب الله، ولا تكرُهِهم عليه فيملوه، ولا تتركهُم منه فيهجروه، ثم روِّهِم من الشعر أعَفَّهُ، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يُحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضِلَّةٌ للفهمِ، وتهدَّدْهُمْ بي، وأدِّبهُم دوني، وكُن لهُم كالطبيب الذي لا يعجَل بالدَّواءِ قبلَ معرِفَةِ الداءِ، وجَنِّبهُم محادَثَة النِّساءِ، ورَوِّهِم سير الحُكماء، واستزدني بزيادتك إياهُم أزدك، وإياكَ أن تتكل على عُذرٍ مِنّي لك، فقد اتّكلتُ على كِفاية مِنك، وزِد في تأديبهم أزدك في بِرِّي، إن شاء الله تعالى).

وقد أكد عمرو بن عتبة أن أباه كان دائم الحرص على توجيه أبناءه ونصحهم، فقال: (كان أبونا لا يرفع المواعظ عن أسماعنا، فأراد مرة سفراً فقال: يابني: تألَّفوا النعم بحسن مجاورتها، والتمسوا المزيد منها بالشكر عليها، واعلموا أن النفوس أقبلُ شيء لِما أُعطيت، فاحملوها على مطيةٍ ولا تُبطىء إذا رُكبت، عليها نجا من هَرب من النار، وأدرك من سابق إلى الجنة، فقال الأصاغر : يا أبنانا، ما هذه المطية؟ فقال: التوبة) [١١٤].

وفي هذه الوصية حثٌ للأبناء على شكر المنعم، وتسخير النعم في طاعة المولى عز وجل، وأن تكون التوبة هي المطية للسير في الطريق لبلوغ الجنة والهرب من النار .

---

(١١٢) عتبة بن أبي سفيان توفي سنه ٤٤هـ و كان أمير مصر، وليها من قبل أخيه معاوية t ، فقدمها سنة٤٣هـ ثم خرج إلى الاسكندرية مرابطاً، فابتنى داراً في حصنها القديم وتوفي بها .(الأعلام للزركلي ٤ / ٢٠٠) .

(١١٣) البيان والتبيين ٢ /٦٨-٦٩ ؛ وشرح مقامات الحريري ٥ /٢١٤؛ وجمهرة وصايا العرب ٢ /٣٩٨-٣٩٩ .

(١١٤) وصايا الآباء إلى الأبناء – د. محمود شاكر سعيد ص/١٣٨ .





ولقد نشأ ولده عمرو متمسكاً بهذه التربية وهذه الخصال الحميدة وأورثها لابنه سفيان، كما سنرى في الوصية التالية :

وصية عمرو بن عتبة

* روى النهرواني عن سفيان بن عمرو بن عتبة[١١٥]، قال:

(لما بلغت خمسَ عشرة سنة، قال لي أبي : أي بُنيَّ ! قد انقطعت عنك شرائع الصِّبا، فاختلط بالخير تكن من أهله، ولا تزايله فتَبين منه [١١٦] كله، ولا يغرَّنَّك من اغترَّ بالله U فيك فمدحك بما تعلم خلافه من نفسك [١١٧]، واعلم أنَّه يا بني لا يقول أحدٌ فيك من الخير ما لا يعلم إذا رضي، إلا قال فيك مثله من الشر مما ليس فيك إذا سخط [١١٨]، فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء تسلم من عواقبهم، ولا تنقل حُسن ظنِّي بك إلى غيره [١١٩].

قال سفيان : فما زال كلام أبي لي قِبلة [١٢٠] أنتقل معها ولا أنتقل عنها [١٢١].

إشارة إلى تمسكه – رحمه الله - وحرصه الشديد على الالتزام بوصية والده، فهي دائماً نصب عينيه لا يحيد عنها.

ولتلاحظ اهتمام الأب بهذه الوصية لابنه الذي كان في مقتبل العمر وفي بداية مرحلة الشباب، مما كان لها الأثر الكبير في نفس ولده سفيان حتى أصبحت كلماتها راسخة في ذهنه ووجدانه، يلتزم بها ويرويها للآخرين [١٢٢].

---

(١١٥) عمرو بن عتبة بن أبي سفيان، ابن أخي معاوية t .

(١١٦) ولا تزايله : أي لا تتحول عنه . فتبين منه : أي تفارقه وتخالفه وتهجره، والمعنى : إنك إن تحولت عن طريق الخير ستكون بعيداً عنه وعن أهله.

(١١٧) أي : يمدحك بصفات لا توجد فيك فيوقعك في الغرور .

(١١٨) المقصود أنَّ من كان متهاوناً في الثناء وذكر المحاسن دون أن يتحرى الصواب وهو في حالة الرضا، فإنه في حالة السخط سيكون أشد تهاوناً في ذكر المساوىء والافتراء بالباطل .

(١١٩) لا تجعلني أتحول عن حسن الظن بك إلى سوء الظن بسبب أفعالك .

(١٢٠) قِبلة : الجهة والمقصد، يقال (فلان ما له قِبلة) إذا لم يهتد لجهة أمره .

(١٢١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي – للإمام أبي الفرج النهرواني – ٢ / ٢٤٤ .

(١٢٢) وصايا الآباء إلى الأبناء ص/١٣٧.





من نفائس وصايا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله

أولاً : وصيته لولده عبد الملك رحمه الله :

حكي عن ميمون بن مهران أنَّه قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز[١٢٣] فوجدته يكتب إلى ابنه عبد الملك :

(أما بَعد فإن أَحَق ّ من وعى عنِّي وفهم قولي أنت، وإنَّ الله _ وله الحمد _ قد أحسن إلينا في لطيف أمرنا وجليله، وعلى الله جلَّ وعزَّ تمام النعمة، فاذكر يا بني فضل الله عليك وعلى أبيك، فإنَّك إن استطعت أن تُصدِّق ذلك كلَّه بعمل تعمله وصلاةٍ أو صوم أو صدقةٍ قبل ذلك منك، وإيَّاك والعزَّة والعظمة والكبرياء فإنَّه من عمل الشيطان وهو عدوٌّ مضلٌّ مبين، M إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ L [١٢٤] .

واعلم أنَّ الشبابَ - إلا ما وقى الله ودفعَ - عونٌ على أمور كثيرة من السوء، وفيه لعمري معونة كثيرة على الخير لمن رزقه الله، فاحذر شبابك، وإيَّاك أن تعلم في قلبك زُهوَّاً أو كِبراً، فإنَّه ما لم يكن من ذلك كان خيراً، واحفظ لسانك ونفسك حفظاً ترجو فيه رحمة الله عزَّ وجلَّ ومغفرته .

واذكر صِغر أمرك وحقارة شأنك، وليس كتابي هذا لأن يكون بلغني عنك إلا خيراً، غير أنَّه قد

---

(١٢٣) هو الإمام الحافظ والخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان، تابعي من أهل المدينة، حفظ القرآن وهو غلام صغير وأمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب t ، ولد سنة ٦٣هـ وتوفي سنة إحدى ومائه (سير أعلام النبلاء - ١١٤/٥) .

(١٢٤) سورة يوسف آية / ٥٣ .





بلغني عنك شيء من بعض إعجابك بنفسك، ولو بلغني أنَّ ذلك خرج عنك إلى أمر كرهتُه لبلغك عني أمرٌ يشتدُّ عليك كراهته [١٢٥]، وعُرِّفت مع ذلك أنَّ الشباب والحرص والنعمة يحمل ذلك كله على أمر شديد إلا ما وقى الله ودفع، فكن يا بني على حذر، فإنَّ الشيطان قلَّ ما يصيب فرصته بمن احترس منه بدعاء الله جلَّ اسمه والتواضع له، وأكثر تحريك لسانك في ليلك ونهارك بذكر الله، فإنَّ أحسن ما وصلتَ به حديثاً حسناً ذكر الله جلَّ اسمه، وأحسن ما قطعت به حديثاً سيِّئاً ذكر الله تبارك وتعالى، وأعِن على نفسك بخير . نسأل الله لنا ولك حسن التوفيق والسلام) [١٢٦] .

ثانياً : وصيتهُ إلى مؤدب أبنائه :

-وقال رحمه الله يوصي سهل بن صدقة مؤدِّب أبنائه :

(أما بعد، فإني اخترتك على علم مني بك لتأديب وُلدي ... وليكن أولُ ما يعتقدون من أدبك بُغضَ الملاهي التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني يُنبت النفاق في القلب ...) [٢].

ثالثاَ : وصية الوداع :

كان آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه حَمِدَ الله وأثنى عليه، ثم قال :

(أما بعد ؛ فإنَّكم لم تُخلَقوا عبثاً، ولن تُتركوا سدى، وإنَّ لكم معاداً ينزل الله تبارك وتعالى فيه للحكم فيكم والفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله، وحُرِم من جنة عرضها السموات

---

(١٢٥) وقد كان عبد الملك رحمه الله من كبار الصالحين، مستجيباً لوصية والده عمر بن عبد العزيز، بل كان يشد من أزر والده ويوصيه، فقد ذكر الإمام الماوردي أن عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز دخل على أبيه فوجده نائماً، فقال: (يا أبتِ أتنام والناس بالباب ؟) فقال: (يابني، نفسي مطيتي، وأكره أن أتعبها فلا تقوم بي) [أدب الدنيا والدين للماوردي – رقم/٢٦٨] .

(١٢٦) المحاسن والمساوىء – للشيخ إبراهيم البيهقي – ص/ ٦٠٥ .

(٢) سيرة عمر بن عبدالعزيز – ص/ ٢٥٧



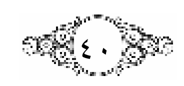


والأرض، ألم تعلموا أنَّه لا يأمن غداً إلا من حَذر اليوم وخافه، وباع نافداً بباق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان ؟! ألا ترون أنَّكم في أسلاب الهالكين، وستكون من بعدكم للباقين، كذلك حتى يُرَدَّ الأمر إلى خير الوارثين؟! ثم إنَّكم في كل يوم تُشيِّعون غادياً ورائحاً إلى الله عز وجل قد قضى نحبه، حتى تُغيِّبوه في صدع من الأرض، في بطن صدعٍ غير موسَّدٍ ولا ممهَّدٍ، قد فارق الأحباب وباشر التراب، وواجه الحساب، فهو مرتهنٌ بعمله، غنيٌّ عما ترك، فقير إلى ما قدَّم ؛ فاتقوا الله قبل انقضاء مواقيته ونزول الموت بكم، أما إنِّي أقول هذا) .

ثم رفع طرف ردائه على وجهه ؛ فبكى – بكاءً شديداً – وأبكى من حوله [١٢٧] .

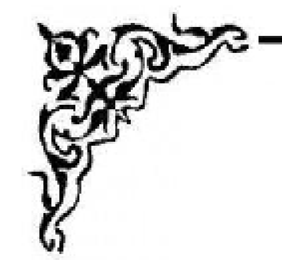
---

(١٢٧) المجالسة وجواهر العلم – للدينوري - ٣/ ٣٤٤، وعيون المعارف لابن قتيبة ٢/٢٦٨، والبداية والنهاية لابن كثير ٢٠٧/٩ .

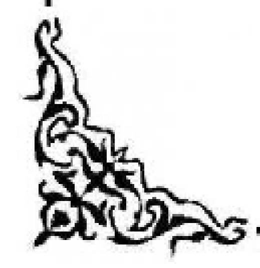
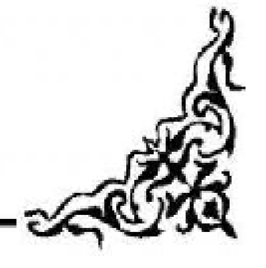




حياة الصحابة على
مائدة القرآن



وصايا العلماء لتلاميذهم وأبنائهم





وصية الإمام ابن عبد البرّ

الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي (توفي ٤٦٣هـ) وله كتب بديعة في الفقه والتربية، ومن كتبه (جامع بيان العلم وفضله) و (الكافي في فقه أهل المدينة) وقد ألحق به رسالة نفيسة في الآداب والوصايا لطلاب العلم.

وإليك نماذج من هذه الوصايا البديعة[١]، حيث يقول رحمه الله :

(جماع الخير كلِّه تقوى الله U، واعتزال شرور الناس، ومن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

ومن طلب العلم لله فالقليل يكفيه، ومن طلبه للناس فحوائج النَّاس كثيرة، وأَزينُ الحلي على العالم : التَّقوى وحقيقٌ على مَن جالس عالماً أن ينظر إليه بعين الإجلال، وينصتَ له عند المقال، وأن تكون مراجعته له تفهماً لا تعنُّتاً[٢]، وبقدر إجلال الطالب للعالم ينتفع بما يفيد من علمه .

ومن شيم العاقل والعالم : أن يكون عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً لسانَهُ، متحرزاً من إخوانه[٣]، والمغرور: من اغترَّ بمدحهم له؛ والجاهل: مَنْ صدَّقهم على خلاف ما يعرف من نفسه .

وبر الوالدين فرض لازم، وهو أمر يسيرٌ على من يسرَّه الله له، وبرهما : خفض الجناح، ولين الكلام، وألاَّ ينظر إليهما إلا بعين المحبة والإجلال، ويتوقَّى سخطهما بجهده، ويسعى في مسرتهما بمبلغ طاقته، وإدخال الفرح عليهما من أفضل أعمال البِر.

---

(١) ينظر: الجامع للآداب لابن عبد البر – دار ابن حزم – الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

(٢) أي : يكون سؤاله للعالم طلباً للعلم والفهم بهدف الاسترشاد، وليس بهدف التعجيز وإيقاع العلماء في الزلل.

(٣) المقصود بالتحرز هنا الحذر ممن لاتؤمن صحبتهم ، ومن يتظاهر بالأخوة والمودة وهو في حقيقة الأمر طالب منفعة وصاحب مصلحة ، إذا فاتت عليه سخط ، وإن تحققت أكثر من مدحهم والثناء عليهم بما ليس فيهم ، فالجاهل من صدَّقهُ على خلاف مايعرف من نفسه.





وأبغض الخلق إلى الله وأبعـدهم مـن رسـول الله ﷺ، المـشاؤون بالنميمـة، المفرقـون بـين الأحبـة، **الملتمسون لأهل البر العثرات .**

ومن وعظ فليخففِّ ، فإنه إذا أسرف كان بالموعظة أَوْلى من الموعوظ

ومن فُتح لـه باب من الخير فليبادر إليه وليثبت عليه، فإنه لا يدري متى يُغلق عليه [١٢٨].

وكل آت قريب، والموت لا محالة آت، فمن أكثر ذكره وجعله نصب عينيه صرفه ذلك عن الرغبة في الدنيا، وحمله على التقوى .

والزهد في الدنيا قصر الأمل، ولا يصحب المرء إلى قبره ولا ينفعه فيه إلا ما قدَّم من صالح عمله) .

---

(١٢٨) **وما أحسن قول الإمام الشافعي رحمه الله :**

إذا هبَّـــتْ رياحـــك فاغتنمهـــا   فعُقبـــى كـــل خائفـــةٍ ســـكونْ

ولاتغفـل عـن الإحـسان فيهـا   فما تـدري الـسكون متـى يكـون؟





وصية الإمام الباجي لولديه

من بدائع الوصايا وصية الإمام الحافظ أبي الوليد الباجي الأندلسي(المتوفى ٤٧٤هـ) أوصى بها ولديه وهما القاسم وأبو الحسن، وقد نشأ هذان الولدان نشأة صالحة في رعاية أبيهما الإمام الباجي، ودرسا عليه العلوم الشرعية، وقد حرص على توجيه تلك الوصية إليهما وهما في ريعان الشباب.

وإليك نماذج من هذه الوصية النفيسة، حيث يقول رحمه الله [١٢٩]:

(**يا بَنيَّ** - هداكما الله وأرشدكما ووفقكما وعصمكما وتفضَّل عليكما بخير الدنيا والآخرة، ووقاكما محذورهما برحمته – إنكما لما بلغتما الحدَّ الذي قرب فيه تعيُّن الفروض عليكما وتوجُّه التكليف إليكما [١٣٠]، وتحققتُ أنكما قد بلغتما حدَّ من يفهم الوعظ ويتبين الرُشد ويَصلُح للتعلم والعلم؛ لزمني أن أقدِّم إليكما وصيتي، وأُظهر إليكما نصيحتي، مخافة أن تخترمني منيةٌ [١٣١] ولم أبلغ مباشرة تعليمكما وتدريبكما وتفهيمكما، فإن أنسأ [١٣٢] الله في الأَجل فسيتكرر النصح والتعليم والإرشاد والتفهيم ...، وإن حال بيني وبين ذلك ما أتوقعه وأظنُّه من اقتراب الأجل وانقطاع الأمل ففيما أرسمه [١٣٣] من وصيتي وأبيِّنه من نصيحتي ما إن عملتما به ثبتما على منهاج السلف الصالح، وفزتما بالمتجر الرابح [١٣٤] .

---

(١٢٩) المرجع : كتاب (وصية الإمام الحافظ أبي الوليد الباجي لولديه)، اعتنى بها: جلال علي الجهاني، مؤسسة الريان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

(١٣٠) وهذا يدل على أن الإمام الباجي وجَّه تلك الوصية بما فيها من معانٍ نفيسة إلى ولديه وهما في ريعان الشباب قبيل سن البلوغ، فتأمل حرص سلفنا الصالح وعنايتهم بأبنائهم منذ نشأتهم، وانظر البون الشاسع بين هذه التربية البديعة وما عليه حال شبابنا اليوم من ضياع وانشغال بتوافهِ الأمور .

(١٣١) تخترمني منية : يأخذني الموت، اخترمته المنية : أخذته.

(١٣٢) أي : أخَّـــر .

(١٣٣) أي : أكتبه .

(١٣٤) وقد أصبح ابنه القاسم خَلفاً لأبيه في مجلس التدريس، وأما أبو الحسن فقد توفي في حياة أبيه، وكان نبيلاً ذكياً، فرثاه أبوه



واعلما أنه لا أحدَ أنصحُني لكما، ولا أشفق ُ مني عليكما ... وأقلُّ ما يوجب ذلك عليكما أن تـصغيا إلى قولي، وتتَّعظا بوعظي، وتتفهما إرشادي ونصحي ...

وأول ما أوصيكما به ما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوبُ : M يَبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ L [١٣٥].

وأنـهاكما عما نهى عنه لقمان ابنه وهو يعظه : M يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ L [١٣٦] .

فإن مُتُّما على هذا الدين الذي اصطفاه الله واختاره وحرَّم ما سواه فأرجو أن نلتقي حيـث لا نخـاف فُرْقَةً ولا نتوقع إزالة[١٣٧]، ويعلم الله شوقي إلى ذلك وحرصي عليـه، كـما يعلـم إشـفاقي مـن أن تـزلَّ بأحدكما قدمٌ، أو تعدل به فتنة، فيحلَّ عليه سخط الله تعالى ما يُحِلُّه دار البـوار، ويوجـب لـه الخلـود في النار، فلا يلتقي مع المؤمنين من سلفه، ولا ينفعه الصالحون من آبائه ...

وتنقسم وصيتي لكما قسمين : فقسمٌ فيما يلزم من أمر الشريعة، أبين لكما منه ما يجب معرفته، ويكون فيه تنبيه على ما بعده . **وقسم** فيما يجب أن تكونا عليه في أمر دنياكما وتجريان عليه بينكما .

فأما القسم الأول :

فالإيمان بالله U وملائكته وكتبه ورسله، والتصديق بشرائعه، فإنه لا ينفع مع الإخـلال بـشيء مـن ذلك عمل .

والتمسك بكتاب الله تعالى والمثابرة على تحفظه وتلاوته، والمواظبـة عـلى التفكـر في معانيـه وآياتـه،

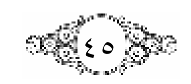
بقصائد، ومنها قوله يرثي ابنه وأخاه :

لئن غُيبا عن ناظريَّ تبوَّءا فؤادي، لقد زاد التباعد في القرب

(١٣٥) سورة البقرة آية/ ١٣٢ .

(١٣٦) سورة لقمان آية/ ١٣ .

(١٣٧) وهذا هو وعد الله لعباده الصالحين أن يجمعهم مع ذرياتهم الصالحة في جنته، قال تعالى: M وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ L [الطور : ٢١] .





والامتثال لأوامره، والانتهاء عن نواهيه وزواجره .

روي عن النبي ﷺ أنه قال : (تركتُ فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله تعالى وسنتي، عَضُّوا عليها بالنواجذ) [١٣٨] .

وقد نصح لنا النبي ﷺ وكان بالمؤمنين رحيماً، وعليهم مشفقاً، ولهم ناصحاً، فاعملا بوصيته، واقبلا نصحه، وأثبِتا في أنفسكما المحبة له، والرضا بما جاء به، والاقتداء بسننه، والانقياد له، والطاعة لحكمه، والحرص على معرفة سنته وسلوك سبيله، فإن محبته تقود إلى الخير وتنجي من الهلكة والشَّرِّ ...

واعلما أنكما إنما تصلان إلى أداء هذه الفرائض، والإتيان بما يلزمكما منها - مع توفيق الله لكما - بالعلم الذي هو أصل الخير، وبه يُتوَصَّل إلى البِرِّ .

والعلم سبيل لا يفضي بصاحبه إلا إلى السعادة، ولا يقصر به عن درجة الرفعة و الكرامة، قليلُه ينفع، وكثيرهُ يُعلي ويرفع، كنزٌ يزكو على كل حال، ويكثر مع الإنفاق، ولا يغصبه غاصب، ولا يُخاف عليه سارق ولا محارب ...

وأفضل العلوم علم الشريعة، وأفضل ذلك - لمن وُفِّقَ - أن يجوِّد قراءة القرآن، ويحفظ حديث النبي ﷺ، ويعرف صحيحه من سقيمه ...

وعليكما بالصدق فإنه زَيْنٌ، وإياكما والكذب فإنه شَينٌ، ومن شُهر بالصدق فهو ناطق محمود، ومن عُرِف بالكذب فهو ساكت مهجور مذموم، وأقل عقوبات الكذَّاب ألا يُقبل صدقُه ولا يتحقق حقه ...

وأما القسم الثاني :

مما يجب أن تكونا عليه وتتمسكا به فأن يلتزم كل واحد منكما لأخيه بالإخلاص والإكرام، والمراعاة في السرِّ والعلانية، والمراقبة في المغيب والمشاهدة، وليلزم أكبركما لأخيه الإشفاق عليه، والمسارعة إلى كل ما يحبه ... ويلتزم أصغركما لأخيه تقديمه عليه، وتعظيمه في كل أمر ... وتصويب قوله وفعله، فإن أنكر منه في الملأ أمراً يريده أو ظهر إليه خطأ فيما يقصده فلا يُظهر إنكاره عليه، ولا يجهر في الملأ

(١٣٨) رواه الإمام مالك في الموطأ ٢/٨٩٩، والحاكم ١/٩٣ بدون زيادة (عضوا عليها بالنواجذ).





بتخطئتهِ، وليبين له ذلك على إنفراد ورفقٍ...

وإياكما والتنافس والتقاطع والتدابر والتحاسد، فإنه مما يفسد دينكما ودنياكما، ويضع من قدركما، ويحطُّ من مكانكما، ويحقِّر أمركما عند عدوكما، ويصغِّر شأنكما عند صديقكما .

وما علمتُ أهلَ بيتٍ تقاطعوا وتدابروا إلا هلكوا وانقرضوا، ولا علمتُ أهل بيت تواصوا وتعاطفوا إلا نموا وكثروا وبورك لهم فيما حاولوا ...

واعلما أنَّ الجوار قرابة ونسب، فتحبَّبا إلى جيرانكما كما تتحببان إلى أقاربكما، ارعيا حقوقهم في مشهدهم ومغيبهم، وأَحسِنا إلى فقيرهم، وبالغا في حفظ غيبهم، وعلِّما جاهلهم ...

وعلِّقا رجاءكما بِربكُما، وتوكَّلا عليه، فإنَّ التوكل عليه سعادة، واستعينا بالدعاء، فإنَّ الدعاء سفينة لا تعطب، وحزبٌ لا يُغلب، وجند لا يهرب ...

وإياكما أن تُطغيَكما النعمةُ فتقصِّرا عن شكرها أو تنسيا حقها، أو تظنَّا أنكما نِلتُماها بسعيكما، أو وصلتما إليها باجتهادكما، فتعود نقمة مؤذية، وبلية عظيمة .

وعليكما بطاعة من ولَّاهُ الله أمركما فيما لا معصية فيه لله تعالى، فإن طاعته من أفضل ما تتمسكان به وتعتصمان به ممن عاداكما ... فالتزما الطاعة وملازمة الجماعة، فإن السلطان الجائر الظالم أرفقُ بالناس من الفتنة، وانطلاق الأيدي والألسنة ...

وإياكما والاستكثار من الدنيا وحطامها، وعليكما بالتوسط فيها... ومن احتاج منكما فليُجملْ في الطلب، فإنه لا يفوته ما قُدِّر له، ولا يدرك مالم يقدَّر له...

فإن فقدتما وصيتي هذه ونسيتما معناها فعليكما بما ذكر الله تعالى في وصية لقمان لابنه فإن فيها جماع الخير .

وإني لأوصيكما وأعلمُ أني لن أغني عنكما من الله شيئاً: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١٣٩) وهو حسبنا ونعم الوكيل).

---

(١٣٩) سورة يوسف آية/ ٦٧ .





وصية الإمام ابن الجوزي لولده

الإمام أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧هـ) فقيه واعظ، وعالم خبير بتربية النفوس، اشتهرت مجالس وعظه التي يحضرها الآلاف، وإذا كان درسه بعد العصر أقبل الناس إلى المجلس منذ الضحى يتسابقون إلى أماكنهم، ويحضر مجلسه عشرة الآف وربما حضر عنده مائة ألف[١]، وله مؤلفات كثيرة مشهورة، ومن أبرزها رسالته القيّمة (لفتة الكبد في نصيحة الولد) وهي رسالة أبوية مشتملة على وصايا تربوية كتبها لابنه محمد المكنى بأبي القاسم.

وإليك نماذج من هذه الوصايا البديعة[٢] :

الحث على طلب الفضائل :

اعلم **يا بني !** - وفَّقك الله -، أنه لم يُميَّز الآدمي بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك، وأَعْمِل فِكرك، واخلُ بنفسك، تعلم بالدليل أنَّك مخلوق مكلَّف، وأنَّ عليك فرائض أنتَ مطالبٌ بِهَا، وأنَّ الملكين عليهما السَّلام يُحصيان ألفاظك ونظراتك، وأنَّ أنفاسَ الحي خُطُواتٌ إلى أَجَلِهِ، ومقدارَ اللَّبْثِ في الدنيا قليل، والحبسَ في القبور طويل، والعذابَ على موافقة الهوى وبيل[٣]، فأين لذَّة أمس؟! قد رحلتْ وأَبقتْ ندماً، وأين شهوةُ النفس ؟! نكَّست رأساً وأزلَّت قدماً .

وما سعد من سعد إلا بمخالفة هواه، ولاشقي من شقي إلا بإيثار دنياه ..

والكسلُ عن الفضائل بئس الرفيق، وحبُّ الراحة يورث الندم..، فانتبه وأتعِبْ نفسك، واعلم أنَّ أداء الفرائض واجتناب المحارم لازمٌ، فمتى تعدَّى الإنسان فالنَّار النَّار .

---

(١) ينظر : سير أعلام النبلاء – للإمام الذهبي ذيل طبقات الحنابلة – لابن رجب الحنبلي.

(٢) لفتة الكبد في نصيحة الولد، للإمام ابن الجوزي، باعتناء الدكتور مروان قباني – المكتب الإسلامي–١٤٠٢هـ وطبعة أخرى بعناية الأستاذ بسام عبدالوهاب الجابي – دار ابن حزم – ١٤١٤هـ.

(٣) وبيل : شديد





ثم اعلم أن طلب الفضائل نهايةُ مراد المـجتهدين.. وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم..

فينبغي لذي الهمَّة أن يترقَّى إلى الفضائل، فيتشاغلَ بحفظ القرآن وتفسيره، وبحديث رسول الله ﷺ، وبمعرفة سِيره وسيَرِ أصحابه والعلماء بعدهم، ليتخيّر مرتبة الأعلى فالأعلى ..

وما تقف همةٌ إلا لخساستها، وإلا فمتى عَلَت الهمة لم تقنع بالدون .

ومتى رأيتَ في نفسك عجزاً فَسَلِ المنعم، أو كسلاً فالجأ إلى الموفِّق، فلن تنال خيراً إلا بطاعته، ولا يفوتُك خير إلا بمعصيته.

ومَن الذي أقبل عليه فلم يَرَ كلَّ مرادٍ لديه ؟

ومن الذي أعرض عنه فمضى بفائدة ؟ أو حَظيَ بِغَرَض من أغراضه ؟! .

تجارب الحياة :

وإني لأذكر لك بعض أحوالي لعلَّك تنظر إلى اجتهادي، وتسأل الموفِّق لي . فإني أذكر نفسي ولي همَّة عالية، وأنا في المكتب(١٤٠) ابن ستِ سنين، وأنا قرينُ الصبيان الكبار، قد رُزقت عقلاً وافراً في الصِّغر يزيدُ على عقل الشيوخ، فما أذكر أني لعبتُ في طريقٍ مع صبي قطُّ، ولا ضحكتُ ضَحِكاً جارحاً، حتَّى أني كنت - وَلي سبعُ سنين أو نحوها – أحضر رحبة الجامع (١٤١)،أطلبُ المحدث، فيحدِّث بالسَّند الطويل، فأحفظ جميع ما أسمع، وأرجع إلى البيت فأكتبه(١٤٢)...

---

(١٤٠) في المكتب:أي في الكُتَّاب الذي يتلقى فيه الطفل التعليم وحفظ القرآن الكريم .

(١٤١) رحبة الجامع : ساحة المسجد.

(١٤٢) وقد قال رحمه الله في كتابه (صيد الخاطر) ص/٢١٣ (ولقد كنت في حلاوة طَلَبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العَسَلِ، لأجْل ما أطلبُ وأرْجو، كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج إلى طلب الحديث، فأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلّما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم. فأثمر ذلك عندي أني عُرِفت بكثرة سماعي لحديث سير الرسول صلى الله عليه وسلم وأحواله وآدابه، وأحوال الصحابة وتابعيهم).





فأحسنَ الله تدبيري وتربيتي، وأجراني على ما هو الأصلح لي، ودفع عني الأعداء والحُسَّاد ومَن يكيدني، وهيَّأ لي أسباب العلم، وبعثَ إليَّ الكسب من حيث لا أحتسب، ورزقني الفهم وسرعة الحفظ وجودة التصنيف، ولم يُعْوِزْني شيئاً من الدنيا، بل ساق إليَّ مقدار الكفاية وأزيد، ووضع لي في قلوب الخلق من القبول فوق الحدِّ ...

ولقد كنتُ أدور على المشايخ لسماع الحديث، فينقطع نَفَسي من العَدْوِ[١٤٣]، لئلاَّ أُسبَق، وكنتُ أُصبح وليس لي ما آكلُ، وأُمسي وليس لي شيءٌ، وما أذلني الله لمخلوقٍ، ولكنه ساق رزقي لصيانة عِرضي، ولو شرحت أحوالي لطال الشرح، وها أنا، ترى ما قد آلت الحال إليه، وأما أجمعُه لك في كلمة واحدةٍ، وهي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [١٤٤].

التعجيل بالتوبة واغتنام الأعمار

فانتبه يا بنيَّ لنفسك، واندم على ما مضى من تفريطك، واجتهد في لحاق الكاملين، مادام في الوقت سَعَةٌ، واسقِ غصنك ما دامت فيه رُطوبة، واذكر ساعاتك التي ضاعت، فكفى بِهَا عظةٌ، ذهبت لَذَّةُ الكسل فيها، وفاتت مراتب الفضائل، وقد كان السَّلف رحمهم الله يُحِبُّون جمع كلِّ فضيلةٍ، ويبكون على فوات واحدةٍ منها .

واعلم يا بني أنَّ الأيام تَبْسُطُ ساعات، والسَّاعاتُ تَبْسطُ أنفاساً، وكل نَفَسٍ خزانةٌ، فاحذر أن تُذهبَ نَفَساً في غير شيء، فترى يوم القيامة خزانةً فارغة، فتندم .

وقد قال رجل لعامر بن قيس : قف أكلِّمْكَ ! فقال : أَمْسِكِ الشمسَ [١٤٥].

وفي الحديث عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غُرِسْت لهُ نخلةٌ في الجنَّةِ) [١٤٦]. فانظر إلى مُضَيِّع الساعات كم يفوتُه من النَّخل !!

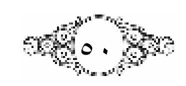
---

(١٤٣) أي : من سرعة الجري.

(١٤٤) سورة البقرة آية / ٢٨٢.

(١٤٥) أي : أن الزمن يمضي ولن أضيع جزءاً منه إلا إذا استطعت إيقاف الشمس.

(١٤٦) رواه الترمذي رقم : ٣٤٦٤.





التقوى خير زاد

يابني! ومتى صحَّت التقوى رأيت كل خير، فالمتقي لا يرائي الخلق، ولا يتعرض لما يؤذي دينه، ومن حَفظ حدود الله حفظه الله ...

واعلم، يا بني ! أنَّ أوفى الذخائر غضُّ الطرف عن محرَّم، وإمساكُ اللسان عن فضول كلمةٍ، ومُراعاةُ حدٍّ [١٤٧]، وإيثارُ الله سبحانه وتعالى على هوى النَّفس .

وحاسبْ نفسك عند كل نظرة وكلمة وخطوة، فإنَّك مسؤول عن ذلك، وعلى قدرِ انتفاعك بالعلم ينتفع السَّامعون، ومتى لم يعمل الواعظ بعلمهِ، زلَّتْ موعظتُه عن القلوب، كما يَزلُّ الماء عن الحجر، **فلا تَعِظَنَّ إلا بِنيَّة، ولا تمشينَّ إلا بنيَّة**، ولا تأكلنَّ إلا بنيَّة[١]، ومع مطالعات أخلاق السلف ينكشف لك الأمر .

وأد إلّي كل ذّي حق ٍّ حقَّه، من زوجة أو ولد أو قرابة، وانظر كلَّ ساعة من ساعاتك بماذا تذهب، فلا تودعها إلا أشرف ما يمكن، ولا تهمل نفسك، وعوِّدها أشرف ما يكون من العمل وأحسنه، وابعث إلى صندوق القبر ما يسرُّك يوم الوصول إليه، كما قيل :

يا من بدنياه اشتغل وغرَّه طول الأمل

الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

---

(١٤٧) أي : مراعاة حدود الله وعدم تجاوزها.

(١) من فضل الله عز وجل على عباده أنه جعل النية الصالحة طريقاً للفلاح، وإذا عمل العبد شيئاً من المباحات بنيَّة صالحة أصبحت عبادة وقربة ينال بها الأجر، ولهذا قال الإمام عبدالله بن المبارك : (رُبَّ عمل صغير تعظمه النية، ورُبَّ عمل كبير تصغره النية)، وقال زبيد اليامي : (إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء، حتى في الطعام والشراب) ينظر : ربيع القلوب - للمؤلف – ص / ٣٥.



وراعِ عواقب الأمور، يهُنْ عليك الصَّبر عن كلِّ ما تشتهي وما تكره، وإن وجدت من نفسك غفلة فاحملها إلى المقابر، وذكِّرها قُرب الرَّحيل .

فاجتهد أن لا تخيِّب ظنِّي فيما رجوتُه فيك ولكَ . وقد أسْلمتُكَ إلى الله سبحانه، وإيَّاه أسأل أن يوفقك للعلم والعمل، وهذا قدرُ اجتهادي في وصيَّتي، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم .



وصية الإمام ابن قدامة المقدسي

بين يديك – أخي الحبيب – كلمات تهتز لها القلوب، وتخشع لها النفوس، إنها قطوف من وصية نابعة من قلبٍ عالمٍ جليل، انتفعت بعلومه الأمة جيلاً بعد جيل، قال عنه الذين ترجموا لسيرته : (من رآه كأنه رأى بعض الصحابة، وكأنما النور يخرج من وجهه، كثير العبادة، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه)[١٤٨].

وإليك مختارات من هذه الوصية النفيسة :

(اعلم – رحمك الله – أن هذه الدنيا مزرعة الآخرة، ومتجر أرباحها، وموضع تحصيل الزاد منها والبضائع الرابحة، بها برز السابقون، وفاز المتقون، وأفلح الصادقون، وربح العاملون، وخسر المبطلون.

واعلم – رحمك الله – أنَّ أهل القبور أمنية أحدهم أن يُسبِّح تسبيحة تزيد في حسناته، أو يقدر على توبة من بعض سيئاته، أو ركعةٍ ترفع في درجاته، فاغتنم – رحمك الله – حياتك النفيسة، واحتفظ بأوقاتك العزيزة .

---

(١٤٨) ولد الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي سنة (٥٤١هـ) في إحدى قرى مدينة نابلس، وهاجر مع أهله منذ صغره إلى دمشق، وتوفي سنة (٦٢٠ هـ) وله ما يقارب خمسين مؤلفاً، من أبرزها كتاب (المغني) في الفقه، قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : (لم يدخل الشام بعد الأوزاعي فقيهٌ أعلم من موفق الدين) .

وانظر ترجمته مع نص هذه الوصية كاملة في كتاب : (وصية العالم الجليل موفق الدين ابن قدامة المقدسي) تحقيق : محمد خير رمضان يوسف – طبع دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، وتقع الوصية في أكثر من خمسين صفحة، وقد اكتفيت باختيار فقرات منها مع إضافة بعض العناوين الجانبية المناسبة.





واعلم أنَّ مدة حياتك محدودة، وأنفاسك معدودة، فكلُّ نَفَسٍ ينقص به جزء منك، والعمر كله قصير، والباقي منه هو اليسير(١٤٩) .

فاجتهد – رحمك الله – أن تكون من الذين استوعبوا الساعات بالطاعات، ولم يفرطوا في شيء من الأوقات .

وألْزِم قلبك الفِكر في نِعم الله لتشكرها، وفي ذنوبك لتستغفرها، وفي تفريطك لتندم، و في مخلوقات الله وحِكَمه لتعرف عظمته وحِكمته ...

وألزم لسانك ذكر الله تعالى، ودعاءَه واستغفارَهُ، أو قراءة قرآنٍ، أو علمٍ أو تعليم، أو أمرٍ بمعروف أو نهي عن منكرٍ، أو إصلاحٍ بين الناس .

وأَشْغِل جوارحك بالطاعات، وليكن من أهمها الفرائض في أوقاتها على أكمل أحوالها، **ثم ما يتعدَّى نفعُهُ إلى الخلق، وأفضل ذلك ما نَفَعهم في دينهم**،كتعليمهم الدين وهدايتهم إلى الصراط المستقيم .

مفسدات الأعمال :

واحترس من مفسدات الأعمال، لئلا يَفسُدَ عملُكَ ويخيبَ سعيُكَ، فلا تحصلَ على أجر العاملين ولا راحة البطَّالين، وتفوتك الدنيا والآخرة .

ولا تحقرنَّ مسلماً، ولا تظننَّ أنك خير منه، فإن ذلك ربما أحبط عملك ...

واعلم أن الله تعالى ناظرٌ إليك، مطَّلعٌ عليك، فقل لنفسك : لو كان رجلٌ من صالحي قومي يراني لاستحيت ُمنه، فكيف لا أستحي من ربي تبارك وتعالى، ثم لا آمن تعجيل عقوبته وكشف َ سِتره ؟ .

احذر من كفران النعمة :

واعلم أنك لا تقدرُ على معصيته إلا بنعمته .

فكم له عليك من نعمة في يدك التي مددتَها إلى معصيته ؟

---

(١٤٩)وقد قال الشاعر :

إذا كنت أعلم علماً يقيناً	بأن جميع حياتي كساعة
فلِمْ لا أكون ضنيناً بها	فأجعلها في صلاحٍ وطاعة؟



وكم من نعمةٍ في عينك التي نظرت بها إلى ما حرَّم عليك ؟

وفي لسانك الذي نطقت به بما لا يحلُّ لك ؟

وليس من شكر إنعامه أن تستعين به على معاصيه .

ولو لم يكن من نِعمهِ عليك في معصيتك إلا سترها عليك لكفى، فلو اطَّلَع الناسُ عليك لا نهتكْتَ .

أسلوب تربوي بديع :

وقد روي أن رجلاً أتى إبراهيم بن أدهم فقال: (يا أبا إسحاق إنني لا أصبر عن المعاصي، فقل لي قولاً أنتفعُ به !

قال : نعم، أقول لك خمسَ خصالٍ، إن قدرتَ عليها لم تضرَّكَ معصية !

قال : هات .

قال : **إذا أردت أن تعصيَ الله فلا تأكل رزقهُ !**

قال : يا أبا إسحاق فمن أين آكل وكلُّ ما في الأرض من رزق الله ؟!

قال : أفيحسنُ أن تأكلَ رزقَه وتعصيه ؟

قال : لا . هاتِ الثانية .

قال : **إن أردتَ أن تعصيه فلا تسكن بلاده !**

قال : هذه أشدُّ من الأولى ! إذا كانت السموات والأرض وما بينهما وما فيهما له فأين أسكن ؟

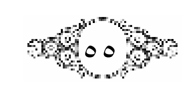
قال : يا هذا، أفيحسنُ أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه ؟

قال : لا . هاتِ الثالثة .

قال : **فإذا أردت أن تعصيه فانظرْ موضعاً لا يراك فاعصه فيه !**

قال : يا أبا إسحاق، فكيف أصنعُ وما في السماء والأرض والجبال والبحار موضعٌ إلا وهو بارزٌ له، يرى ما في قعر البحار، وتحت أطباق الجبال ؟

قال : يا هذا، أفيحسنُ أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتجاهر بمعصيته؟





قال : لا . هاتِ الرابعة .

قال : **إذا جاءك ملَكُ الموت ليقبض روحك فقل : أخِّرني حتى أتوب !**

قال : لا يقبلُ مني .

قال : يا هذا، فإذا كنتَ تعصيه، ولا تأمن مفاجأة الموت، ولا يقبل منك فيؤخِرَكَ، فتموتَ على غير توبة، فكيف يكون حالك ؟!

قال : هاتِ الخامسة .

قال : **إذا جاءتك الزبانيةُ ليأخذوك إلى النار فلا تمضِ معهم !**

قال : لا يَدَعونني .

قال : فإذا كنت لا تقدر على الامتناع منهم، ولا تدعُ المعصية، فكيف ترجو الخلاص ؟

قال : حسبي .

ولزم إبراهيم بن أدهم، فعبد الله حتى مات !) .

التعجيل بالتوبة :

وإن ابتليتَ بمعصية فبادر إلى التوبة والاستغفار والندم، وابكِ على خطيئتك...

كان بعضهم يقول : (لا تنظر إلى صغرِ الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت) [١٥٠] ....

واعلم يا أخي أن الخطر عظيم، والخطبَ جليلٌ، وأننا قد عُرضنا لأمرٍ لا تقوم له الجبال الشوامخ، ولا الأرض العريضة، ولا السماء الرفيعة، ولا البحار الواسعة، وحَمَلْنا أمراً أشفقت من حملهِ السموات

---

(١٥٠) وما أبدع قول الشاعر : المعتز رحمه الله :

خلِّ الذنوب صغيرها ... وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماشٍ فوق ... أرضِ الشوك يحذر ما يرى

لاتحقرنَّ صغيرةً ... إن الجبال من الحصى





والأرض والجبال: M فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا L [١٥١] .

وكيف حالُ من تشعلُ النارُ في جسده كله، كلما نضج جلده بُدِّل جلداً غيره، يُسحب في حميم، قد انتهى حرُّه على جسده ووجهه، ويُصبُّ من فوق رأسه، فيُصهرُ به ما في بطنه، ويُنتزع عنه جلده، ثم يُسْجَرُ في نارٍ تُشعل في جسمه وجلده ووجهه، ثم لا غاليَعَذابها، ولا يفتُرُ عنهم ولا يرجون منها فرجاً .

قال الله تعالى : M إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ L [١٥٢] .

الدعاء سلاح المؤمن :

وليكن دُعاؤك بخضوعٍ وخشوعٍ وبكاءٍ وتضرُّع، فإنَّ بعضهم قال : (إني لأعلم حين يستجيب لي ربي عزَّ وجلَّ : إذا وَجِلَ قلبي، واقشعرَّ جلدي، وفاضت عيناي، وفُتِحَ لي في الدعاء) [١٥٣].

واعلم أن مَن في البحر على لوحٍ ليس هو بأحوجَ إلى الله تعالى ولطفه ممن هو في بيته وبين أهله وماله ...

وإذا سألت الله فاسأله وأنتَ موقنٌ بأنه مطلعٌ عليك، ناظرٌ إليك، سامعٌ لدعائك، قريب منك، قادرٌ على إجابتك، لا يتعاظمه شيء .

وإذا سألته أمراً فاسأله الخِيرةَ فيه، فإنك لا تدري ما يكون لك فيه، وإذا شاء الله تعالى أعطاك رغبتك وخَارَ لك في ذلك، فيجمعُ لك بين الأمرين .

فإن لم يعجِّل لك الإجابة فلا تيأس من الإجابة، ولا تملَّ من السؤال .

---

(١٥١) سورة الأحزاب / ٧٢ .

(١٥٢) سورة الزخرف / ٧٤-٧٧ .

(١٥٣) وقد بيَّن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أن الدعاء مفتاح توفيق الله للعبد، فإذا فتح الله على العبد في الدعاء والافتقار وصدق الالتجاء فقد أراد أن يفتح له باب الإجابة، ولهذا قال عمر بن الخطاب t : (إني لا أحمل همَّ الإجابة، ولكن همَّ الدعاء، فإذا أُلهمت الدعاء فإن الإجابة معه) والمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم [الفوائد لابن القيم – ص/ ٩٦] .





واعلم أن الله تعالى إذا نظر إليك وعلم أنك قد جعلته معتمدك وملجأك، وأفردتهُ بحوائجك دون خلقه، أعطاك أفضل ما سألته، وأكرمك بأكثر مما أردته.

فإن عجَّل لك الإجابة فقد جمع لك بين قضاء الحاجة وخير الدنيا والآخرة، وإن لم يُجبكَ عاجلاً فقد عوَّضكَ عن ذلك خيراً منه، فأنت على خيرٍ في الحالين.

اغتنام أوقات الأسحار :

واعلم - رحمك الله - أن هذه الدنيا سوقُ متجرِ الأبرار، وحَلَبَةُ السباق بين الكرام الأخيار، ومحلُّ تحصيل الزاد للسفر الذي ليس كالأسفار .

فبادر رحمك الله قبل فوات إمكانِ البِدار، واغتنم أنفاسك العظيمة المقدار، وأذرِ دموعك(١٠٤) على ما سلف من تفريطك، فإن القطرة من الدموع من خشية الله تعالى تُطفىء البحور من النار .

وتيقَّظ في ساعات الأسحار عند نزول الجبار، وأَحْضِر بقلبك قول العزيز الغفار: (هل مِنْ سائلٍ فأعطيَه؟ هل من داعٍ فأستجيبَ لـه؟ هل مِنْ مستغفرٍ فأغفرَ له ؟)(١٠٥).

وقد قال الشاعر:

وإني لأدعو الله والأمر ضيقٌ	عليَّ فما ينفكُّ أن يتفرجا
ورُبَّ فتى سُدَّتْ عليه وجوهه	أصاب لها في دعوة الله مخرجا

قلْ : نعم يا رب ! أنا السائل المحتاج .

أنا الفقير الضعيف .

أنا الكسير الذليل .

---

(١٠٤) أذرت العين دمعها : أسالته .

(١٠٥) جزء من حديث قدسي رواه البخاري رقم/١٠٧٧ ورواه مسلم رقم/١٢٦١ وأحمد في المسند رقم /١٧٢٣٤ ومالك في الموطأ رقم/٤٤٧ وأصحاب السنن.





أنا الداعي الراجي .

أنا المستغفر المذنب .

أنا المقرُّ المعترف .

ارحم ضعفي وكبر سني .

ارحم فقري وفاقتي وحاجتي ومسكنتي .

يا كثير الخير، يادائم المعروف، لا تخيِّب ظنِّي بك، ولا تحرمني سعة معروفك، ولاتطردني عن بابك، ولا تُخرجني من أحبابك .

أسألك من فضلك العظيم، فإنك قلت وقولك الحق: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [156] .

إلهي ! ما أَمرتَني أن أسألك إلا وأنتَ تريد أن تعطيني، ولا دَلَلتني عليك إلا وأنت تريُد أن تهديني ! ولا أمرتَني بدعائك إلا وأنت تريد أن تجيبني !

أسألك من فضلك أن تجعلني من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

وأن تجعلني من الذين تحبُّهم ويحبونك ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [157] ومن الأئمة الذين يهتدون بأمرك .

(156) سورة النساء آية/ 32 .

(157) سورة المائدة أية / 54 .





وصايا فريدة وحكم مفيدة

من لطائف اختيارات الأمير أسامة بن منقذ (المتوفى ٥٨٤هـ) ما أورده في كتابه (لباب الآداب) عن أبي الحسن علي بن محمد الصغاني أنه قال :

(من قعد عن حيلته أقامَتْه الشدائد، ومن نام عن عدوِّه أنبهته المكائد، ومن سالم الناس سَلِم، ومن قدَّم الحزم غَنِم، ومن لَزِم الحِلم لم يَعْدَم السِّلم، ومن ضعُف رأيه قويَ ضدُّه، والتجربة مرآة العقل، والصبر على الغُصَّة [١٥٨] يؤدي إلى الفرصة، ومن استرشد غوِياً ضلَّ، ومن استنجد ضعيفاً ذلَّ، ومن ضلَّ مُشيرُه قلَّ نصيرُه، والأناة حُسْنٌ، والتودُّد يُمْنٌ، من نام عن نصرة وليِّه انتبه بوطأة [١٥٩] عدوِّه، ومَن دام كسلُه خاب أملُه، والعَجُول مخطيء وإن مَلَك، والمُتَّئِد مصيبٌ وإن هلك، ومَن بانَ عجزُه زال عِزُّه، ومِن أمارة الخذلان معاداة الإخوان، ومن كثُرتْ مخافتُه قلَّتْ آفتُه، والرِّفق مفتاح الرزق، ومن نظر في العواقب سَلِم من النوائب[١٦٠]، ومن فعل ما شاء لقي ما ساء[١٦١]، ومن كتم سرَّه أحكم أمرَه، ومن كَثُرَ اعتبارُه قلَّ عِثَارُه[١٦٢]، ومَن أحكمَ التجارب أحمد العواقب[١٦٣]،

---

(١٥٨) الغُصَّة : ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب، والمراد : الأمر العسير الشديد .

(١٥٩) وطأة العدو : غزوه، مأخوذ من وطىء الشيء : أي داسه بقدمه .

(١٦٠) النوائب : جمع نائبة، وهي ما ينـزل بالإنسان من مصائب وأخطار .

(١٦١) أي : من فعل ما تهواه نفسه دون تفكير بالعواقب والتزام بأمر الشرع، واستشارة لأهل الخبرة فإنه سينال جزاء فعله سوءاً وخسراناً .

(١٦٢) عِثاره : أي تعثُره، يقال عَثَر به فرسه، أي : زلَّ وكبا . والاعتبار : الفرض والتقدير، والمعنى من يقدر الأمور ويتأمل قلت أخطاؤه وزلاته.

(١٦٣) أي : وجد العواقب حميدة .



القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير، عزيمة الصبر تطفىء نار الشر، فإن الصبر على ما تكرهه وتجتويه[١٦٤]، يؤدِّيك إلى ماتحبُّه وتشتهيه).

إذا استشرتَ الجاهل اختار لك الباطل، ومن اغترَّ بحاله قصَّر في احتياله، ومن اقتحم الأمور لقيَ المحذور، ومن استعان بذوي العقول فاز بدَرَكِ المأمول[١٦٥]، ومن استشار ذوي الألباب سلك الصواب، ومن جهل قدرَه جهل كلَّ قدر، والحازم من حفظ ما في يده، ولم يؤخِّر شغل يومه إلى غده، ومن طلب ما لا يكون طال به تعبُهُ، ومن فعل ما لا يجوز كان فيه عطَبُه[١٦٦] .

لا تثقْ بالصديق قبل الخبرة، ولا تُوقعْ بالعدوِّ قبل القُدرة، وإذا أشكلت عليك الأمور فارجع إلى رأي العقلاء وافزع إلى استشارة النصحاء، ولا تأنفْ من الاسترشاد، فَلأَن تسألَ وتسلمَ خيرٌ مِن أن تستبدَّ وتندم، ومن نصحك فلا تستَبدلْ به، ومن وعظك فلا تستوحش منه، فمن نصحك أحسن إليك، ومن وعظك أشفق عليك .

واعلم أنَّ الأيديَ بأصابعها، فلا يغرنَّك كِبرُ الجسم ممَّن صغُر في المعرفة والعلم، ولا طولُ القامة ممن قصَّر في الكفاية والاستقامة [١٦٧]) .

(١٦٤) تجتويه : تكرهه نفسك وتبغضه .

(١٦٥) دَرَك المأمول : إدراك ما يأمله ويرغب فيه .

(١٦٦) العطب : أي الهلاك والفساد .

(١٦٧) لباب الآداب – ص/ ٦٨ – دار الكتب العلمية .



من وصايا الإمام ابن قيم الجوزية

حفلت كتب الإمام شمس الدين بن قيم الجوزية[١٦٨] بالنفائس، وفرائد الوصايا وبدائع الحكم، وستجد في هذه الفقرات المختارة خير شاهد على ما حظي به هذا الإمام المربي من نظر ثاقب وقلب يقظ، فهو الطبيب الحاذق لأمراض النفوس.

ومن نفائس وصاياه ودُرَرِ عطاياهُ قوله رحمه الله :

(كم جاء الثواب يسعى إليك! فوقف بالباب، فردَّه بوابُ " سوف ولعلَّ وعسى[١٦٩]".

كيف الفلاح بين إيمان ناقص، وأمل زائد، ومرضٍ لا طبيب له ولا عائد[١٧٠]، وهوىً مستيقظ، وعقل راقد، ساهياً في غمرته، سابحاً في لجّة جهله، مستوحشاً من ربه، مستأنساً بخلقه ..) [١٧١].

ثم يقول رحمه الله :

(إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغنِ أنتَ بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أَنِسوا بأحبابهم فاجعل أُنسكَ بالله، وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرَّف أنت إلى الله وتودَّدْ إليه تنَلْ غاية العز والرفعة) [١٧٢].

ومن وصاياه البديعة قوله رحمه الله:

(اشتر نفسك اليوم، فإن السوق قائمة، والثمن موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق

---

(١٦٨) هو الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – المتوفى سنة ٧٥١هـ.

(١٦٩) إشارة إلى آفة التسويف وتأجيل عمل اليوم إلى الغد، وقد قال الحسن البصري رحمه الله : (إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بغدك، فإن يكن غدٌ لك فكن في غدٍ كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غدٌ لم تندم على مافرطت في اليوم) اقتضاء العلم العمل – للخطيب البغدادي – ص/١١٣ .

(١٧٠) العائد : الزائر الذي يعود المريض.

(١٧١) الفوائد ص/٦٢.

(١٧٢) الفوائد ص/١١٦.



والبضائع يومٌ لا تصلُ فيه إلى قليل ولا كثير : M يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ L [١٧٣] M g h i j k L [١٧٤]). [١٧٥].

وقوله أيضاً:

(لو صحَّتْ محبتك لاستوجشتً ممن لا يذكِّرك بالحبيب، واعجباً لمن يدِّعي المحبة، ويحتاج إلى من يذكِّره بمحبوبه، فلا يذكره إلا بمذكِّر، أقل ما في المحبة أنها لا تنسيك تذكر المحبوب) [١٧٦].

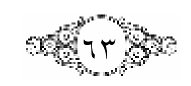
---

(١٧٣) سورة التغابن آية / ٩.

(١٧٤) سورة الفرقان آية / ٢٧.

(١٧٥) الفوائد ص/ ٨٩.

(١٧٦) المرجع السابق - ص/ ١٤٨ .





وصية العلامة الشيخ محمد شاكر لطلاب العلم

من بدائع الوصايا رسالة أَلَّفها فضيلة الشيخ محمد شاكر، شيخ علماء الإسكندرية، والمتوفى سنة ١٣٥٨هـ، بعنوان: (**الدروس الأولية في الأخلاق المرضيَّة**) وإليك قطوفاً مختارة من هذه الوصايا، فاقرأها وتدبَّر معانيها، واحرص على العمل بما فيها، فهي وصية من أستاذ قدير لتلاميذه من طلاب العلم الشرعي ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم، حيث يقول رحمه الله (١٧٧) :

(**يا بُنيَّ**: أرشدك الله، ووفقك لصالح الأعمال، إنَّك منِّي بمنـزلة الولد من أبيه.

يسرُّني أن أراك صحيح البِنْيَة، قويَّ الإدراك، زكيَّ القلب، مهذَّب الأخلاق، محافظاً على الآداب، بعيداً عن الفحش في القَوْل، لطيف المعاشرة، محبوباً من إخوانك، تواسي الفقراء، وتُشفق على الضعفاء، تَغفرُ الزلَّات، وتعفو عن السيئات، ولا تفرِّط في صلاتك، ولا تـهمل في عبادة ربك .

يا بُنيَّ : إنْ كنتَ تقبل نصيحةَ ناصحٍ ، فأنا أحقُّ مَنْ تَقبلُ نصيحتَهُ .

أنا أستاذك ومعلِّمُكَ ومُرَبِّي روحك، لا تجد أحداً أحرص على منفعتك وصلاحك مني.

يا بُنيَّ: إذا لم تتَّخذني قدوةً فبمن تقتدي؟! وعلامَ تُجهد نفسك في الجلوس أمامي؟!

يا بُنيَّ : إنَّ الأستاذ لا يحب من تلاميذه إلا الصالح المؤدب، فهل يَسُرُّك أن يكون أستاذك ومربيك غيرَ راضٍ عنك، ولا طامع في صلاحك ؟

يا بُنيَّ : إني أحبُّ لك الخير، فساعدني على إيصال الخير إليك بالطاعة والامتثال لما آمرك به من مكارم الأخلاق .

---

(١٧٧) وصايا الآباء للأبناء، أو : الدروس الأولية في الأخلاق المرضية، تأليف الشيخ محمد شاكر، تحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة المعارف بالرياض - الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

وقد كتب هذه الوصية سنة ١٣٢٦هـ أي قبل وفاته بأكثر من ثلاثين سنة .





يا بُنيَّ : الخُلق الحسن زينةُ الإنسان في نفسه وبين إخوانه وأهل عشيرته، فكن حسن الخُلق، يحترمك الناس ويحبوك .

يا بُنيَّ : إذا لم تُزَيِّن عِلمكَ بكرم أخلاقك كان عِلمُكَ أضرَّ عليك من جَهْلك، فإنَّ الجاهل معذورٌ بجهله، ولا عُذر للعالم عند الناس إذا لم يتجمَّل بمحاسن الشِّيَم [١٧٨].

الوصية بتقوى الله عز وجل :

يا بُنيَّ : إنَّ ربك يعلم ما تُكِنُّهُ في صدرك، وما تعلنه بلسانك، ومُطَّلع على جميع أعمالك، فاتَّق الله - **يا بُنيَّ** - واحْذَر أن يراك على حالة لا تُرضيه .

احذر أن يسخط عليك ربُّك الذي خلقك ورزقك ووهبك العقل الذي تتصرَّف به في شؤونك .

كيف يكون حالك إذا اطَّلع عليك أبوك وأنت تفعل أمراً نهاك عنه ؟ أما تخشى أن يُشدِّدَ عليك العقوبة ؟ فليَكُنْ حالك مع الله كذلك، لأنه يراك من حيث لا تراه، فلا تُفرِّط في شيء أمرك به، ولا تَمُدُّ يدك إلى شيء نَهاك عنه .

يا بُنيَّ : إنَّ في طاعة الله من اللَّذة والراحة مالا يُعرف إلا بالتجربة .

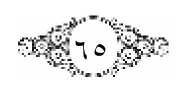
فيا بُنيَّ : استعمل طاعة مولاك لتُدرك هذه اللَّذة، وتشعُرَ بهذه الراحة، وتَعلمَ إخلاصي لك في النصيحة .

يا بُنيَّ : **انظر إلى نفسك حينما كنت في المكتب : تتعلم القراءة والكتابة، وتُؤمَر بحفظ القرآن الكريم غيباً**، ألم تكنْ إذْ ذاك تكرَهُ المكتب والمعلِّمَ، وتتمنَّى أن تكون مُطلق السَّراح ؟ فها أنت اليوم قد بلغتَ الدرجة التي عرفت بِهَا فائدة الصبر على التَّعلُّم في المكتب، وعلمتَ أنَّ مُعلِّمَكَ كان ساعياً فيمصلحتك.

فيا بُنيَّ : اسمع نصيحتي، واصبر على طاعة الله كما صبرتَ على التعلم في المكتب، وسوف تعلمُ فائدة هذه النصيحة .

---

(١٧٨) الشيَم : الأخلاق والطبائع .





حقوق الوالدين :

يا بُنيَّ: مهما تكبَّدت من المشقَّات في خدمة أبيك وأمك، فإنَّ حقوقهما عليك فوق ذلك أضعافاً مضاعفةً: M فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا L (١٧٩).

يا بُنيَّ : انظر إلى الطفل الصغير، وإلى إشفاق أبويه عليه، واعتنائهما بصحته وطعامه وشرابه، وملاذِّه في ليله ونهاره وصحته وسَقَمِهِ، تَعلمْ مقدار ما قاسى أبواك في تربيتك حتى بلغتَ مَبلغ الرجال .

يا بُنيَّ : احذر كلَّ الحذر أن تُغضب أباك، أو تُغضب أمك، إنَّ غضب الله مقرونٌ بغضب الوالدين ؛ ومَنْ غضِبَ الله عليه فقد خسر الدنيا والآخرة .

يا بُنيَّ : إنَّ أشدَّ الناس حباً لك هو أبوك الذي تولَّى تربيتك صغيراً، وسلك طريق الرشاد في تعليمك، حتَّى صرتَ من طلاب العلوم الدينيَّة، فاحرص على قبول نصائحه، فهو أدرى منك بما يُصلحك وما ينفعك وما يَضرُّكَ .

حقوق الصحبة :

يا بُنيَّ: ها أنت قد أصبحت من طلبة العلم الشريف، ولك رفقاء في درسك، هم إخوانك وهم عشيرتك، فإياك أن تؤذيَ أحداً منهم أو تُسيء معاملته .

يا بُنيَّ : إذا جلست للدَّرس فلا تضايق أحداً من إخوانك، وافسَحْ له في المكان حتى يتمكَّن من الجلوس ؛ فإنَّ مضايقة الإخوان في مجالسهم توغرُ الصدور، وتولِّدُ الأحقاد، وتثير الشرور .

يا بُنيَّ : إنَّ لك من إخوانك من يشاركك في المسكن والمبيت، فاحرص على راحة إخوانك في مساكنهم، وإذا جاء وقت النوم فلا تزعجهم بالمطالعة والمذاكرة، واطلب لهم من الراحة ما تطلبه لنفسك .

---

(١٧٩) سورة الإسراء / الآيتان ٢٣-٢٤ .





آداب طلب العلم الشريف

يا بُنيَّ : إذا شرع الأستاذ في قراءة الدرس فلا تتشاغل عنه بالحديث، ولا بالمناقشة مع إخوانك، وأَصْغِ إلى ما يقوله الأستاذ إصغاءً تاماً، وإياك أن تشْغَلَ فكركَ بشيء آخر من الهواجس النفسية أثناء الدرس، وإذا أشكلتْ عليك مسألة بعد تقريرها فاطلب من الأستاذ بالأدب والكمال إعادَتَها، وإياك أن ترفع صوتك على أستاذك، وأن تُنازعه إذا أعرض عنك ولم يلتفت إلى قولك .

يا بُنيَّ : إذا خرج التلميذ عن حدِّ الأدب بين يدي أستاذه، سقطت قيمته عند أستاذه، وعند إخوانه، واستحقَّ التأديب والزجر على قلَّةِ أدبه .

يا بُنيَّ : زينةُ العلم التواضع والأدب، فمن تواضع لله رفعه، وَحبَّبَ فيه خلقه، ومن تكبَّر وأساء الأدب سقط من أعين النَّاس، وبغَّضهُ الله إليهم(١٨٠)، فلا يكاد يجد إنساناً يكرمه أو يشفق عليه، **وإذا خلوتَ بنفسك فأكثر من الدعاء والابتهال إلى الله تعالى أن يرزقك العلم النافع والعمل به .**

أدب المطالعة والمذاكرة :

يا بُنيَّ : أَكْثِر من المذاكرة لما حصَّلتَ من العلوم، فإنَّ آفة العلم النسيان .

واعلم أنَّك في نِهاية العام ستُمتحن في كل معلوماتك، وعند الامتحان يُكرم المرء إذا أحسن الإجابة، ويستهين به أهله وإخوانه إذا لم يحسن الجواب، وظهر أنَّه مفرِّط في التحصيل.

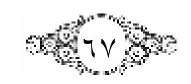
يا بُنيَّ: إياك أن تكون مذاكرتُك عبارة عن حفظ ألفاظٍ لا تعقل معناها، ولكن اجعل هِمَّتك موجهة إلى تَعقُّل المعاني وتثبيتها في ذهنك، فإنَّ العلم هو ما تفهمه لا ما تحفظه.

---

(١٨٠) وما أبدع قول الشيخ نجم الدين الغزي رحمه الله :

تواضَعْ تكن كالنجم لاحَ لناظرٍ ... على صفحات الماء وهو رفيعُ

ولاتكُ كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيعُ





أدب المجالس :

يا بُنيَّ : انظر إلى نفسك : إذا كنت في بيتك مثلاً تعمل عملاً تحب أن لا يطَّلع عليه أحدٌ غيرك، ففاجأك إنسان بالدخول عليك، ألستَ تحسُّ بثقله، وتتمنَّى ذهابه ؟ فكذلك حالُك إذا غشيتَ قوماً بدون استئذان ولا رغبة منهم في وجودك معهم .

يا بُنيَّ : إذا دُعيت لِمجالسة قوم، وكنتَ أصغرهم سناً، فلا تجلس حتى يأذن لك القوم بالجلوس، وإذا جلستَ فلا تزاحم أحداً من جلسائك ... ولا تناقش جلساءَك إلا بالأدب والتحفُّظ من عَثَرات اللسان .

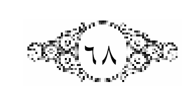
وإيَّاك والقهقهة في المجالس، فإنها من أخلاق السَّفلة ورعاع النَّاس، وأَقلِلْ من المُزاح جُهدَكَ، فإنَّ كثرة المزاح تَذهب بالاحترام، وربَّما أَوْغرتْ صدور بعض الناس عليك .

يا بُنيَّ : لا تُجالس من الناس إلا أهل المروءة والشرف والعفَّة والكمال، وإيَّاك ومخالطة السفهاء ومجالستهم، واحذر مجالس الغيبة والنميمة جهدك، ولا تجالس أحداً من الفُسَّاق والفجَّار، وإيَّاك ومعاشرة أهل الخُبث والدسائس والنفاق، **فإنَّ الأخلاق السيئة تسري في الجلساء كما تسري النار في الحطب .**

آداب العبادة و المساجد :

يا بُنيَّ : كن حريصاً على أداء الصلاة المفروضة في وقتها مع الجماعة ... واعلم أنك في حال الصلاة تُناجي ربَّكوأنت واقفٌ بين يديه، فإياك وهواجس الشيطان .

يا بُنيَّ : إنَّ عامة المسلمين ينظرون إلى طلبة العلم الشريف نظرَ الاحترام، ويستعظمونَ كل صغيرة تقع منهم ؛ فإياك – يا بني – أنْ تُسلِّط ألسنة العامة على نفسك، لا ترفع صوتك في المسجد، فإنَّ ذلك من العامي قبيح، وهو من طلبة العلم الشريف أقبحُ وأشدُّ نكراً، ولا تخاصم أحداً من إخوانك، ولا تنازِعْه، ولا تضيِّق على مسلم يريد أن يتعبَّد في بيت مولاه U .





فضيلة الصدق :

يا بُنيَّ : احرص على أن تكون صادقاً في كل ما تُحدِّث به غيرك، حِرْصَكَ على نفسك ومالك(١٨١)، فإن الكذب شرُّ النقائص والمعايب .

يا بُنيَّ : إذا فعلت أمراً تستحق عليه عقوبةً من أستاذك، فلا تكذب عليه إذا سألك، ولا تُحاول إلصاق الذنب بأحد من إخوانك، فربما قام البرهان على كذبك فتستحق العقوبة مضاعفة : عقوبة الذنب، وعقوبة الكذب، وهيهات أن تُنجيك هذه العقوبة من عقوبة ربك الذي يعلم ما تُكِنُّه في صدرك (١٨٢).

يا بُنيَّ : إنَّ الله تعالى قد لعن الكاذبين في كتابه العزيز، فهل ترضى أن تكون ملعوناً عند الله وأنت من طلبة العلوم الدينية ؟

يا بُنيَّ : إذا لم تَخَفْ من الناس إذا كذبت عليهم، ألا تخاف من مولاك الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ؟.

واعلم أن الذي يُعرف بالصدق بين قومه وعشيرته وإخوانه يُؤخذ قوله حجةً بلا برهان، ويكون موضعَ عدالةٍ عند الخاصة والعامة، فإن كنت تحبُّ أن تكون موثوقاً بك، فاحرص على أن تكون صادقاً في كل ما تُحدِّث، والله يتولَّى هدايتك وإرشادك إلى الصواب .

فضيلة الأمانة :

الأمانة : - **يا بُنيَّ** - حليةُ أهل الفضل، وزينة أهل العلم، وهي مع الصدق من صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام .

يا بُنيَّ : كن أميناً في كل شيء، وفي كل صغيرة وكبيرة، وإيَّاك أن تحدِّث نفسك بالخيانة في عظيم أو

---

(١٨١) أي : مثل حرصك على نفسك ومالك، وقد سبق الحديث عن أهمية الصدق وخطر الكذب في وصية الإمام الباجي رحمه الله لولديه .

(١٨٢) **ما تُكنُّه في صدرك: أي ما تخفيه، قال تعالى:** ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [القصص: ٦٩] .





حقير، فلا تفتح محفظة أخيك، ولا صندوق أمتعته في غيبته لمجرَّد الاطِّلاع على ما فيهما، فإنَّ ذلك من الخيانة، ولا تتجسَّس على إخوانك، فإن ذلك من الخيانة، ولا تُصغِ بأذنك إلى اثنين يتسارَّان، فإنَّ ذلك من الخيانة، ولا تطَّلع على خطابٍ باسم غيرك، فإنَّ ذلك من الخيانة .

يا بُنيَّ : لا تخن نفسك، ولا تخن أحداً من الناس، إنّ من خيانتك لنفسك، أن يسألك الأستاذ ليمتحنك، فتنظر في الكتاب اختلاساً ثم تجيبه، كأنك عالم بما سُئلتَ عنه، ومن خيانتك لنفسك أن تجلس مجلس الامتحان، فإذا عجزت عن الجواب اختلستَ مسودة أخيك لتكتب منها، أو سألته همساً ليجيبك .

هذه يا بنيَّ خيانة وجهالة معاً، وغشٌ أيضاً، فليتك إذْ كنت جاهلاً لم تكن خائناً ولا غشّاشاً، فاتَّقِ – يا بنيَّ – الوقوعَ في مثل هذا، واجتهد في درسك تتعلَّمِ العلم، وتَسْلمْ من الخيانة والغش، والله يتولى هدايتك وإرشادك .

فضيلة العفَّة :

العفَّة - **يا بُنيَّ** - من أخلاق الأخيار، ومن صفات الأبرار، فاحمل نفسك على التخلُّق بِهَا، حتى تصيرَ مَلَكةً راسخة فيك .

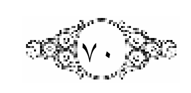
يا بُنيَّ : من العفَّة أن تقاوم نفسك وهواك، فلا تنقاد لهما إذا حملاكَ على طلب شيء من اللذات القبيحة التي يتسارعُ إليها أهل الفساد، وينهمكُ في طلبها الأشرار والفجَّار.

فإياك -**يا بُنيَّ**- أن يستهويك الشيطان بمكرهِ، فتقع في أكبر الخطايا، وأنكر المنكرات.

يا بُنيَّ : اقبل نصيحتي هذه، واذكرها كلما عَرَض لك خاطرُ سوءٍ من الخطرات الشهوانية، واستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وتوجَّه إلى الله بعزيمة صادقة، واسأله النجاة من كيد الشيطان وغروره .

الحذر من آفات النفس وأمراضها :

يا بُنيَّ : لكل إنسان عيب، فكما لا تحب ذكر عيوبك في غَيْبتك، يجب أن تصون لسانك عن عيوب الناس في غيبتهم، فاجتنب الغيبة يا بني، واجتنب نظيرتها في الخبث، وهي : النميمة، فلا تسْعَ بالفساد بين الناس . لا تقل لأحد إخوانك : إنَّ فلاناً قال فيك كذا وكذا، وفلاناً رماك بكذا .





يا بُنيَّ : الغيبة والنميمة من أخلاق الأدنياء وأخلاق اللئام، لا من أخلاق طلاب العلوم الدينية، فلا تدنِّس نفسك بهذه الأخلاق الذميمة .

يا بني : الحقد والحسد خُلقان خبيثان لا يضرَّان إلا صاحبهما. فلا الحسد ينقل إليك نعمة من حَسَدْتَه، ولا الحقد بِضَارٍّ من أضمرت له السوء إلا أن يشاء الله، ولكنك إذا كنت حسوداً حقوداً: يكاد يلتهب قلبُك من الغَيْظ ليلَك ونهارك (١٨٣).

يا بُنيَّ : إذا أنعم الله عليك بنعمة فاشكره ولا تتكبَّر على خلْقهِ، فإن الذي وهبك هذه النعمة قادرٌ على سلبها منك، وإنَّ الذي حرم غيرك قادرٌ على إعطائه ضعف ما أعطاك، فلا تتعرض لغضب الله بالتكبر على خلقه، فإن الله لا يحبُ المتكبرين .

سبيل النجاة

يا بُنيَّ : التوبة من الذنب ليست مجرَّد كلمة تقولها بلسانك، ولكنَّ التوبة على الحقيقة: اعترافُك بين يدي مولاك بالخطيئة التي وقعت منك، واعترافك بأنك مذنب مستحق للعقوبة التي قدَّرها الله لهذا الذنب، وأن تشعر بالحزن والندم على ما فَرَط منك، وأن تُعاهد الله على أن لا تعود لمثله أبداً، ثم ابتهل إلى الله أن يصفح عنك فيما سلف، فإن شاء عفا عنك، وإن شاء عاقبك .

هذه - **يا بُنيَّ** - حقيقة التوبة والاستغفار، لا أن تقول بلسانك (تبتُ إلى الله)، وأنت مُصرٌّ على مخالفة مولاك .

يا بُنيَّ : الخوف من الله يحول بين المرء وذنبه، فمن اشتد خوفه من ربه، فقلَّما يقترف خطيئةً من الخطايا .

فخفِ الله - **يا بُنيَّ** - خوفاً يحول بينك وبين مخالفة أمره، ولا تيأس من رَوح الله إذا فَرَطَتْ منك خطيئة، وابتهل إلى الله في سرِّك وجهرك، واسأله العفو والمغفرة، إنَّ ربك غفورٌ رحيم .

(١٨٣) ويؤكد ذلك قول ابن المقفَّع: (إنا لم نرَ ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد، طول أسفٍ، ومحالفة كآبة، وشدة تحرُّقٍ، ويكدّر على نفسه مابه من النعمة فلا يجد لها طعماً، فهو منغَّص المعيشة، دائم السَّخطة، لا بما قُسم له يقنع، ولا على مالم يُقسم له يَغلب، والمحسود يتقلَّب في فضل الله مسروراً) [عيون الأخبار لابن قتيبة – ٢/ ١٢] .





يا بُنيَّ : اجعل أعمالك كلها لخدمة مولاك الذي خلقك وسوَّاك، ولا تطلب بها غير وجه ربك .

مدارسةُ القرآن وتدبُّر معانيه :

يا بُنيَّ : أكثِر من مدارسةِ القرآن، واحفظ آياته الشريفة عن ظهر قلبك، وإذا قرأتَ القرآن فلا تقرأه وأنت غافلٌ عن معناه، وإذا أشكلَ عليك فهمُ آية فارجع إلى كتب التفسير، أو إلى أحد العلماء لتعلم معناها .

يا بُنيَّ : شتَّان بين من يقرأ ولا يفهم معنى ما يقرؤه، وبين من يقرأ ومعاني القرآن الكريم حاضرةٌ لديه: الأول كالأعمى يمشي في الطريق لا يبصر منها شيئاً، والثاني كصاحب البصر يتَّقي ببصره مواقع الزلل .

يا بني : رُبَّ قارىءٍ للقرآن والقرآن يلعنُه، فما أنزل الله الكتاب العزيز لمجرد التلاوة بلا فهم، ولا لتلاوته مع فهم معناه فقط، ولكن أنزله لامتثال ما أمر به، واجتناب مانهى عنه، وللتخلق بما تضمنته آياته الشريفة من الأخلاق الكريمة، فاقرأ القرآن بقصد امتثال أمره واجتناب نهيه، والتخلق بأخلاقه .

محاسبة النفس :

يا بُنيَّ : حاسب نفسك على ما فعلت قبل أن يحاسبك مولاك، فإذا خلوتَ بنفسك عند النوم، فاذكر ما صنعت في يومك وليلتك، فإن رأيت خيراً فاحمد الله على توفيقه، وإن رأيت شراً فافزع إلى التوبة والندم، وعاهد مولاك على أن لا تعود، واستغفر ربك كثيراً، لعل الله يقبل توبتك ويغفر لك ما تقدَّم من ذنبك.

يا بُنيَّ : أكثرْ من الابتهال إلى الله، والدعوات الصالحات لنفسك ولأبويك ولإخوانك المؤمنين .

وقال: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ۝٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾ [١٨٤] .

اللهم برحمتك عُمَّنا، واكفنا شرَّ ما أهمَّنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توفَّنا وأنت راضٍ عنَّا. [١٨٥].

---

(١٨٤) سورة إبراهيم / الآيتان ٤٠-٤١ .

(١٨٥)





كلمات للشباب
للعلامة الشيخ سليمان الندوي

عالم من أبرز علماء الهند، كتب وصية بديعة للشباب عند قدومه للحج عام (١٣٦٨هـ)[١٨٦] يصف فيها واقع المسلمين ويعالج قضاياهم، ومع أن عمر هذه الوصية أكثر من خمسين عاماً لكنها تنبض بالحياة وتشخص أمراض المسلمين، وكأنها كُتبت اليوم .

وإليك – أخي القارىء – قطوفاً مختارة من هذه الوصية النفيسة [١٨٧] :

حيث يقول رحمه الله :

(شباب المسلمين في سائر الأرض مصابون بداء واحد ودواؤهم واحد .المسلمون ليسوا أمة تشبه بقية الأمم، مُتكوِّنةً بالجنسية والنسب والنسل والوطن واللون واللغة، وإنما هم أمة تجمعهم وحدة الدين، أي: وحدة العقيدة، ومبدأ الفكر والخُلق والأدب، وبها قامت هذه الأمة، واستقام أمرها... إن في التاريخ لَعِبراً: حارب الصليبيون المسلمين في ثغور مصر وبلاد الشام..

ولم ينهض لمقاومتهم غير نور الدين الشهيد، وبعده صلاح الدين الكردي فأطاعهم أهل العراق والشام ومصر والحجاز بلا نظر إلى الوطنية والجنسية، فهزموهم بإذن الله وأخرجوهم من بلاد القدس

ثم يقول رحمه الله : فما هو الدواء لهذا الداء ؟

هو ما قاله سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ... إنه

---

(١٨٦) توفي الشيخ سليمان الندوي عام (١٣٧٣هـ) الموافق ١٩٥٣م،وله كتب ومؤلفات عديدة من أبرزها (الرسالة المحمدية)

(١٨٧) يُنظر كتاب (وصايا أساطين الدين والأدب والسياسة للشباب) جمعها وأعدها: الشيخ عبد الله المزروع – دار المنارة بجدة – ط٢ – ١٤١٢هـ – ص/ ٢٣٥ وما بعدها .





الدعوة إلى الإيمان الكامل والعمل الصالح، وتعمير الخلق الحسن والجهاد في سبيل الله وابتغاء فضله، ونفض غبار الكسل، والسعي الحثيث والعمل المتوالي لكسب الخير وإصلاح السيرة، وتزكية النفس من التحاسد والتباغض ...

ولكن يا أسفا! شبابنا منهمكون في لذات الحياة الفانية ومغرورون بالسراب، ومحتسون ما عند عدوهم من السم الزعاف الناقع[١٨٨] من الترف والدعة واللهو واللعب، والإسراف والتبذير والشهوات، يفرون من شدائد الحياة وجهاد العمل والسعي لمعالي الأمور، يؤمنون بما يبث فيهم عدوهم من الأفكار التي توهن مبادىء دينهم وتفسد أخلاقهم، وتضعف قوة روحهم، ويكفرون بما ترك لهم آباؤهم الكرام من التالد الخالد في العلم والعمل .

فلينتبه الشباب المسلم، وليميِّز بين الحق والباطل والطيب والخبيث، والخير والشر والنافع والضار، وليأخذ ما صفا وليدع ما كدر، وليؤمن بالله وليكفر بالطاغوت، وليتمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وليدعُ إلى المعروف ولينْه عن المنكر، وليحتفظ بما عنده من تراث آبائه الكرام ودين أنبيائه عليهم السلام، وليثق بدينه الإسلام، ففيه شفاء الأسقام) .

(١٨٨) السم الزعاف : سريع القتل، وسم ناقع : بالغٌ قاتل .





وصية الأستاذ أحمد أمين لولده

من نماذج وصايا المعاصرين وصية الأستاذ أحمد أمين [١٨٩] لابنه في كتابه "إلى ولدي"، والتي يقول فيها:

أهم ما جربتُ في حياتي أني رأيتُ قول الحق والتزامه وتحرّي العدل وعمله يُكسب الإنسان من المزايا ما لا يُقدَّر ، ولقد احتملت في سبيل ذلك بعض الآلام، وأغضبتُ بعض الأنام، وضاعت عليَّ من أجله بعض المصالح، ولكني برغم ذلك كله قد استفدت منه أكثر مما خسرت، لقد استفدت منه راحة الضمير، وثقة الناس بما أقول وأعمل .. فإذا أردتَ أن تنتفع بتجربتي فالتزم الحق والصدق والعدل في جميع أعمالك [١٩٠].

ثم يقول : ومن أهم تجاربي أيضاً أني رأيت كثيراً من الناس يخطئون فيظنون أن المال هو كل شيء في الحياة ... يبيعون أنفسهم للمال ... ويضيعون أعمارهم للمال، ويفرّطون في الفضيلة للمال. وقد أقنعتني التجارب أن المال وسيلة من وسائل السعادة بشرط أن لا تنقلب عبداً له، وأن يبقى المال وسيلة ولا ينقلب إلى غاية [١٩١].

أي بُني ! أكبر ما يؤلمني فيك وفي أمثالك من الشباب أنكم فهمتم الحقوق أكثر مما فهمتم الواجب، وطالبتم غيركم بحقوقكم أكثر مما طالبتم أنفسكم بواجباتكم، والأمة لا يستقيم أمرها إلا إذا تعادل في أبنائها الشعور بالحقوق والواجبات معاً، ولم يطغَ أحدهما على الآخر .

وكل ما ترى في الأمة من فساد وارتباك وفوضى وتدهور نشأ من عدم الشعور بالواجب .. إن العلم

---

(١٨٩) الأستاذ أحمد أمين أديب مصري توفي سنة ١٩٥٤م – ومن مؤلفاته: فجر الإسلام – ضحى الإسلام - الأخلاق – إلى ولدي.

(١٩٠) إلى ولدي - أحمد أمين – ص/١٦.

(١٩١) المرجع السابق – ص/١٩.





لا يفيد في السعادة والرقي إلا إذا صحبهُ الشعور بالواجب، والعلم كالمصباح تكتشف به طريق الهداية، وقد تكتشف به طريق الضلال [١٩٢].

أي بني ! لا تظن أنك تستطيع أن تكون مهندسا عظيماً بقراءتك في الهندسة وحدها، ولا أن يكون زميلك طبيباً عظيماً بقراءته في الطب وحده ... فالعقل وِحدةٌ ... فكم أتتْ فكرة هندسية عظيمة من قراءة كتاب في الأدب أو في الاجتماع، وكم أتت فكرة طبية سامية من ثقافة اجتماعية ... [١٩٣] .

ثم يقول : أليس عجيباً أن تسمع من زملائك أنهم يريدون قتل الوقت بلعب الورق أو بالحديث التافه، أو بالكلام في أعراض الناس، أو نحو ذلك ؟ كأن الوقت عدو يقاتَل، مع أنه المادة الخامة للحياة، وهو أجدرُ بأن يصادَق، لا أن يقاتَل، ولكن كم يجني الإنسان على نفسه بمعاداةِ أحق شيء بالصداقة !.

أي بني : تصوَّر أنك ستعيش بعد ذلك أربعين أو خمسين عاماً ، وتصوَّر ماذا تجني في هذه السنين الطوال إذا أنتَ صرفتَ جزءاَ كبيراً منها في تقويم نفسك وتثقيف عقلك، وتصوَّر كيف تخسر إذا أنت صرفتها أو أكثرها فيما يضر ولا ينفع ...[١٩٤]

وسيرة عظماء الرجال مملوءةٌ بالشواهد على التضحية، فلا تكاد تجد عظيماً لم يُضحِّ كثيراً، والله يهديك ويوفقك [١٩٥].

---

(١٩٢)المرجع السابق – ص/٥٦.

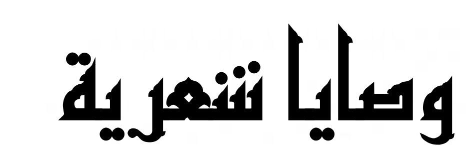
(١٩٣) المرجع السابق - ص/٩٨ .

(١٩٤)المرجع السابق - ص/١٠٠-١٠١.

(١٩٥) المرجع نفسه - ص/١٧٢ .



القسم الرابع



1. وصية الشاعر سابق البربري لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز .
2. قطوف من قصيدة عنوان الحكم - للإمام أبي الفتح البستي .
3. وصية الإمام أبي إسحاق الإلبيري لولده .
4. وصية الشاعر الحصري لنفسه .
5. مختارات من قصيدة الإمام ابن الوردي .
6. وصية الإمام السبكي لولده .
7. من بدائع وصايا الإمام ابن القيم .
8. درر الحكم والوصايا للشاعر أحمد شوقي .






W :

الشعر وسيلة فعالة في التأثير والإقناع وإيصال الفكرة إلى المستمعين، لما له من وقع خاص يؤثر في أعماق النفس ويهز القلب، وبخاصة إذا صدر من قلب مخلص، واتسم بالقوة في النظم، والدقة في التعبير، والجمال في الأسلوب البياني.

وقد بين الرسول ﷺ أهمية الشعر في تزكية النفس في أحاديث عدة، منها ما رواه البخاري وغيره عن أبيّ بن كعب t أن رسول الله ﷺ قال: (إن من الشعر حكمة)[١٩٦]، وفي رواية لأبي داود : (وإنَّ من البيان سحراً) [١٩٧].

فالشعر الحسن يقوّي حجة صاحبه، ويزيد الحق وضوحاً وجلاء، وينشط الهمة والعزيمة للمبادرة للخيرات.

ولقد ثبت عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يرتجزون الشعر في مجالات عديدة، وبخاصة في المواطن التي تحتاج إلى شحذ همة النفس على البذل وتقوية تحملها للصعاب.

* ومن ذلك ما رواه البخاري عن سلمة بن الأكوع t قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع،ألا تسمعنا من هنيهاتك؟

قال : وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداءً لك ما اقتفينا وثبِّت الأقدام إن لاقينا

وألقِيَنْ سكينةً علينا

إنا إذا صِيحَ بنا أتينا وبالصياح عَوَّلوا علينا

---

(١٩٦) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب مايجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، رقم/٥٧٩٣.

(١٩٧) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في الشعر، رقم/ ٥٠١١ .





فقال رسول الله ﷺ : من هذا السائق؟ قالوا : عامر بن الأكوع.

فقال : يرحمه الله) [١٩٨].

ولذلك استخدم كثير من علماء السلف الشعر وسيلة لوعظ النفس والدعوة إلى مكارم الأخلاق، ومن أبرز هؤلاء الإمام الشافعي رحمه الله الذي تُعدُّ أشعاره من بدائع الحكم مع انصرافه إلى العلم واشتغاله بالفقه، وقد حفلت كتب التراجم والأدب والرقائق بالنفائس من شعره، ومن ذلك قوله:

يا واعظ الناس عما أنت فاعله	**يا من يُعدُّ عليه العمر بالنَفَس**
احفظ لشيبك مِنْ عيب يدنِّسه	**إن البياض قليلُ الحمل للدنس**
كحاملٍ لثيابِ الناس يغسلها	**وثوبه غارق في الرجس والنجس**
تبغي النجاة ولم تسلك طريقتها	**إن السفينة لا تجري على اليبس**
ركوبك النعش يُنسيك الركوب على	**ما كنت تركب من بغل ومن فَرَس**
يوم القيامة لا مالٌ ولا ولَدٌ	**وضمَّة القبر تُنسي ليلة العرس** [١٩٩]

* وذكر الإمام ابن كثير أن الواعظ أبا عثمان المنتخب ابن أبي محمد الواسطي - وكان من كبار الصالحين - أنشد نور الدين محمود زنكي أبياتاً يعظه فيها، ومن جملة ما قال :

مثِّل وقوفك أيها المغرور	**يومَ القيامة والسماء تمورُ**
إن قيل نور الدين رحت مُسلِّماً	**فاحذر بأن تبقى ومالك نورُ**
أرضيت أن يحظى سواك بقربه	**أبداً وأنت مُعذَّب مهجور؟**
مَهِّدْ لنفسك حجةً تنجو بها	**يوم المعاد ويوم تبدو العُور**

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات بكى بكاء شديداً[٢٠٠].

---

(١٩٨) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب مايجوز من الشعر والرجز، رقم ٥٧٩٦ .

(١٩٩) ديوان الإمام الشافعي – جمع وتعليق : محمد عفيف الزعبي – ص/٥٢ .

(٢٠٠) البداية والنهاية، لابن كثير - ١٢/٢٨٢.





وهكذا تقرع المواعظ والوصايا قلب المؤمن وتؤثر في نفسه، وبخاصة إذا كانت في قالب شعري جميل صادق، تربط العبد باليوم الآخر، وتدعو إلى تزكية النفس، وتحث على فضائل الأعمال(٢٠١).

* ومن بدائع وصايا الشعراء قول أبي العتاهية رحمه الله يوصي ولده:

اسلك بُني مناهجَ السادات	**وتخلقنَّ بأشرف العاداتِ**
لا تلهينك عن معادكَ لذةٌ	**تفنى، وتورث دائم الحسراتِ**
أقم الصلاة لوقتها بشروطها	**فمن الضلال تفاوت الميقاتِ**
وإذا اتسعتَ برزق ربك فاتخذ	**منه الأجلَّ لأوجه الصدقاتِ**
في الأقربين وفي الأباعد تارة	**إن الزكاة قرينةُ الصلواتِ**
وارعَ الجوار لأهله متورِّعاً	**بقضاء ما طلبوا من الحاجاتِ**
واخفض جناحك إنْ مُنحتَ إمارةً	**وارغب بنفسك عن ردى اللذاتِ(٢٠٢)**

فتأمل كيف تنساب هذه الوصايا عذبةً في النفوس، ويزداد التأثر بها مع تكرارها وحفظها من قبل الأبناء، لتكون دافعاً لهم إلى التسابق في الخيرات والبعد عن المعاصي والموبقات.

وإليك أخي القارئ نماذج من الوصايا الشعرية من الآباء للأبناء، ومن المربين والمعلمين لتلاميذهم وجلسائهم.

(٢٠١)ينظر: منهج الإسلام في تزكية النفس - للمؤلف – ص/ ٣٧٩.

(٢٠٢) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي – للأستاذ أحمد قبَّش – ص/ ٥١٦.





وصية الشاعر سابق البربري لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

من نفائس الوصايا قصيدة **الشاعر سابق البربري** (٢٠٣) المشتملة على حكم ومواعظ، وقد قال له عمر بن عبد العزيز رحمه الله: عِظني يا سابق و أوجز، فأنشده قصيدة بديعة، وهذه أبيات مختارة منها (٢٠٤) :

بسم الذي أُنزِلَتْ من عندِهِ السُور	**والحمد لله، أَمَّا بَعدُ يَا عمرُ**
إن كنتَ تعلمُ ما تَأتي وما تَذَرُ	**فكُنْ على حَذَرٍ قد ينفَعُ الحذرُ**
واصبرْ على القَدَرِ المقدورِ وارضَ به	**وإنْ أَتاك بما لا تشتهي القَدَرُ**
إن التقى خيرُ زادٍ أنتَ حامِلُهُ	**والبِرُّ أفْضَلُ ما تأتي وما تَذَرُ**
وليس ذو العلمِ بالتقوى كجاهِلِها	**ولا البصيرُ كأعمىً ماله بَصَرُ**
والذكرُ فيهِ حياةٌ للقلوبِ كما	**يُحيي البلادَ - إذا ما ماتَت - المطرُ**(٣)
والعلمُ يجلو العمى عن قَلْبِ صاحِبِهِ	**كما يجلِّي سوادَ الظُلْمَةِ القمرُ**
لا ينفعُ الذكرُ قلباً قاسياً أبداً	**وهل يَلينُ لقولِ الواعِظِ الحَجَرُ**(٢٠٥)

---

(٢٠٣) هو الشاعر سابق بن عبد الله البربري، المتوفى سنة ١٠٠هـ، كان يفِد على عمر بن عبد العزيز فينشده من مواعظه . [الأعلام ٣/٦٩] .

(٢٠٤) المرجع : سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، للإمام ابن رجب الحنبلي، تحقيق : عفت وصال حمزة، دار ابن حزم، الطبعة الأولى - ١٤١٣هـ - .

(٣) وأورد الإمام ابن عبدالبر هذا البيت في كتابه (جامع بيان العلم وفضله)ص/٩١ بلفظ آخر، وهو :

والعلم فيه حياة للقلوب كما تحيا البلاد إذا ما مسها المطر

(٢٠٥) القلب الحي تنفعه المواعظ فيزداد حياة ومحبة لله ورسوله، وقد قال عز وجل : (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو



والمـرءُ يَـصْعَدُ ريعـانُ الـشبابِ بـه	وكــلُّ مُصعِــدَةٍ يومـــاًسَتَنْحَـــدِرُ(٢٠٦)
بينـا نـرى الغُـصْنَ لَـدْنَاً في أرومَتِـهِ	ريَّــانَ صَــارَ حُطامــاً جوفُــهُ نَخِــرُ(٢٠٧)
وكــل بيــتٍ خــرابٌ بعــد جِدَّتِــهِ	ومـــن وراءِ الـــشبابِ المـــوتُ والكِـــبَرُ
إلى الفنــاء وإن طالَــت ســلامتُهُمْ	مــصيرُ كــل بنـــي أنثـــى، وإن كثُــروا
ولـيس يزجـرُكم مـا توعَظـون بـه	والـــبُهم يزجرُهـــا الراعـــي فَتَنْـــزَجِرُ
مالي أرى النـاس والدنـيـا مُوَلِّيَـــةٌ	وكلُّ حبـل عليهـا ســوف يَـنْبَـتِـرُ (٢٠٨)
لا يـشعـرون بما في دينهم نـقـصـوا	جهلاً وإن نـقـصت دُنــياهُمُ شـعروا (٢٠٩)

ألقى السمع وهو شهيد) سورة ق آية/٣٧، وأما القلب القاسي، فإن قسوته تزداد حتى يصبح كالحجارة إذا لم يتداركه صاحبه. قال تعالى: M g h i j k l m n o p q L [البقرة آية/ ٧٤].

(٢٠٦) ريعان كل شيء أوله وأفضله، والمعنى أن الناس يصعدون ويزدادون قوةً في شبابهم ولكن الشباب لا يدوم، ولابد بعد القوة من الضعف والشيخوخة، والسعيد من اغتنم شبابه وصحته وقوَّته في طاعة ربه سبحانه .

(٢٠٧) لَدْناً : طرياً، أرومته : أصله، وهذا مثل ضربه الشاعر لحال الإنسان وانتقاله من القوة إلى الضعف، كالغصن الطري الذي سرعان ما يتحول إلى حطام يابس جوفه منخور .

(٢٠٨) ينبترُ : ينقطع، وهكذا حال الدنيا لا دوام لها .

(٢٠٩) آفة معظم الناس أنَّهم يشعرون بما ينالـهم من نقص في دنياهم ولا يبالون بنقص دينهم، وينطبق على هؤلاء قول الشاعر :

أبنـيَّ إنَّ مـــن الرجـال بــهيمة	في صورة الرجل الـسميع المبـصر
فطنٌ بكـل مصيبة في مــاله	فإذا أصيب بدينــه لم يـشـعر

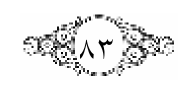


* وأورد الإمام ابن رجب الحنبلي أن سابق البربري دخل يوماً على عمر بن عبدالعزيز، فقال له عمر : عظني يا سابق، قال : نعم، فأنشده :

إذا أنت لم ترحل بـزادٍ مـن التقـى	ووافيــتَ بعــد المــوت مَــنْ قــد تــزوَّدا
ندمت عـلى أن لا تكـون شركتَـهُ	وأرصدتَ قبل الموت ما كان أرصدا[٢١٠]

---

(٢١٠) سيرة عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز – للإمام ابن رجب الحنبلي – ص/ ٩٢ .





قصيدة
(عنوان الحِكَم)
للإمام أبي الفتح البستي

من أبدع القصائد التي ينبغي لطالب العلم الاعتناء بها وحفظها هذه القصيدة النفيسة، فإنها خير ما يحفِّظه الآباء للأبناء، والمعلم للمتعلم، لوضوح معانيها وجزالة ألفاظها وتنوع نصائحها.

وناظمها هو الإمام الشاعر أبو الفتح علي بن محمد البُستي [١] رحمه الله تعالى، وقد قال عنه المؤرخون: (إن الناس في مقاهي القاهرة كانوا يرددون شعره، كما أن نونيته الشهيرة [٢] كانت تُحفظ للتلاميذ في كل العالم الإسلامي، لكثرة فوائدها وعظيم عوائدها[٣]).

وإليك مختارات من هذه القصيدة البديعة .

زيـــادةُ المـــرءِ في دُنيــاه نُقــصانُ	وَرِبْحُــه غــيرَ مَحْــضِ الخَــير خُــسْرانُ
يــا عــامراً لخــرابِ الــدَّارِ مجتهــداً	بــالله هــل لخــرابِ العُمْــرِ عُمــرانُ ؟
ويا حريـصاً عـلى الأمـوال تجمعهـا	أُنْـــسيتَ أنَ سرور المـــالِ أحـــزانُ ؟
أحسِنْ إلى النـاس تـستعبدْ قلـوبهمُ	فطَالمـا اسـتعبدَ الإنـسانَ إحـسانُ [٢١١]
يا خادِمَ الجسم كـم تَـشْقَى بخِدمتِـه	أَتَطلُــبُ الــرِّبْحَ فـيما فيــه خُــسْرانُ ؟

(1) ولد رحمه الله في حدود سنة ٣٣٠هـ في مدينة (بست) من بلاد أفغانستان ، ونبغ في العلم والفقه ، وله شعر رائع يتضمن حكماً فائقة ، وتوفي سنة ٤٠٠ هـ.

(2) المراد هذه القصيدة وسميت نونية لأن قافيتها تنتهي بحرف النون.

(3)من مقدمة رسالة: (قصيدة عنوان الحكم) بتعليق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، ص/١٨ مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، ومعاني الأبيات في الحواشي مأخوذة من شرح الشيخ عبدالفتاح رحمه الله.

(٢١١) تستعبد قلوبهم : تستميلها وتملكها بالإحسان اليهم ، فكثيراً ما ملك الإحسانُ قلب الإنسان .





أقبِلْ على النفسِ واستكْمِل فضائِلَها فأنــتَ بــالنفس لا بالجــسم إنــسانُ

واشْـدُدْ يـديك بِحَبـلِ اللهِ مُعتـصِماً فإنَّــه الــرُّكنُ إن خانَتْــك أركــانُ

مَــنْ يَتَّــقِ اللهَ يُحْمَــدْ في عواقبِــهِ ويَكْفِــهِ شَرَّ مــن عَــزُّوا ومــن هَــانُوا

مَــن اسـتعانَ بغـير اللهِ في طَلَـبٍ فــإنَّ نــاصِرَه عَجْــزٌ وخِــذْلانُ[٢١٢]

مَـنْ يَـزرع الـشَّرَّ يَحْصُدْ في عواقِبِـه نَدَامَــةً، ولِحَــصْدِ الــزَّرع إبَّــانُ[٢١٣]

دَعِ التَّكاسُـلَ في الخـيراتِ تَطْلُبُهـا فلــيس يَــسعَدُ بــالخيراتِ كــسلانُ

لا ظِلَّ للمَرْءِ يَعْرَى مـن تُقَـىً ونُهَـىً وإنْ أظلَّتْــــه أوراقٌ وأفنَــــانُ[٢١٤]

كَفَى من العيش ما قد سَدَّ من عَـوَز ففيــه للحُــرِّ إن حقَّقــتَ غُنْيَــانُ[٢١٥]

وذو القناعــةِ راضٍ مــن معيــشتِهِ وصاحبُ الحِرْصِ إن أثرَى فغَضْبانُ؟[٢١٦]

يــا ظالِمــاً فَرِحــاً بــالعِزِّ ســاعَدَهُ إن كنــتَ في سِــنَةٍ فالــدَّهْرُ يَقظــانُ[٢١٧]

---

(٢١٢) ناصرَه عجز وخذلان : أي إن مآلُهُ إلى العجز والخذلان.

(٢١٣) إبَّان : أي وقت محدد .

(٢١٤) الظل هنا : العز والمَنعة ، يعرى من تقى ونهى : يفقد التقوى والعقل.

(٢١٥) العوز : الحاجة والفقر ، والغنيان (بضم الغين) : الاستغناء.

(٢١٦) أثرى : زاد ماله وكثر ، وقوله : صاحب الحرص إن أثرى فغضبان ، و ذلك لطمعه المتزايد ، فيرى نفسه دائماً في حاجة للمزيد ، ويغضب إذا لم ينل ذلك.

(٢١٧)السنة : الغفلة الخفيفة ، والمعنى : أيها الظالم لايغرنك ما أنت فيه من سطوة وسلطان ، إن كنت في غفلة عن هذا فإن عين الله لا تنام عنك وما أسرع ما ينتقم منك.





يا أيها العالِمُ المرْضِيُّ سِيرَتُهُ ... أَبْشِرْ فأنتَ بغيرِ الماءِ رَيَّانُ[218]

ويا أخا الجهلِ لو أصبحتَ في لُجَجٍ ... فأنت ما بينها لاشَكَّ ظَمْآنُ[219]

لا تَحْسَبَنَّ سُروراً دائماً أبداً ... مَنْ سَرَّه زَمَنٌ ساءَتهُ أزمانُ

إذا جَفَاك خليلٌ كنتَ تألَفُه ... فاطلُبْ سِوَاهُ فكلُّ الناسِ إخوانُ

وإنْ نَبَتْ بك أوطانٌ نشأتَ بها ... فَارْحَلْ فَكُلُّ بلادِ الله أوطانُ

يا رافِلاً في الشَّبابِ الرَّحْبِ مُنْتَشِياً ... مِن كأسِهِ، هل أصاب الرُّشْدَ نَشوانُ[220]

لا تَغتَرِرْ بشَبابٍ رائقٍ نَضِرٍ ... فكم تَقَدَّمَ قَبْلَ الشِّيبِ شبَّانُ[221]

ويا أخا الشَّيْبِ لو ناصَحتَ نفسَكَ لم ... يكن لِمثلِكَ في اللَّذَّات إمعان

هَبِ الشَّبيبةَ تُبْدِي عُذرَ صاحِبِها ... ما عُذرُ أشْيَبَ يَستهويه شيطانُ؟![222]

---

(218) المراد : أيها العالم الذي حفظ أمانة العلم أبشر فأنت بما أفاء الله عليك قرير العين مطمئن النفس.

(219) اللُجج : جمع لجة ، وهي معظم الماء ، والمراد : أيها الجاهل لو غمرتك الدنيا بخيراتها فأنت محروم ظمآن ، لأن نعمة العلم تُسقى بها العقول والقلوب.

(220) رافل : مختال متبختر ، والمعنى : أيها الشاب المعجب بشبابه وقوته لا تغتر فالشباب عَرَضٌ زائل ، والنشوة به تحجب العقل عن الهداية و الرشاد.

(221) أي : لاتغتر أيها الشاب المتدفق حيوية وتظن أنك تعيش طويلاً ، فكم من شاب مات قبل العَجَزة كبار السن.

(222) الشبيبة : حداثة السن، تُبدِي عذر صاحبها : لأن حداثة السن مَظَنَّة الجهل، وأشيبَ : أبيض شعر الرأس من الشيخوخة.





وصية الإمام أبي إسحاق الإلبيري لولده

من نفائس الوصايا المنظومة الشعرية البديعة التي نظمها الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري الأندلسي (المتوفى سنة ٤٦٠هـ) يحث فيها ولده أبا بكر على العلم والعمل به والتخلق بالأخلاق الفاضلة، وقد كان العلماء يحثون طلبتهم على حفظ هذه المنظومة لجودتها، فتأمل معي نفائس الوصايا في هذه القصيدة [٢٢٣]:

تَفُتُّ فُؤادَكَ الأيَّامُ فَتَّا ... وتَنْحِتُ جِسْمَكَ السَّاعاتُ نَحْتَا

وتَدْعُوكَ المَنُونُ [٢٢٤] دُعاءَ صِدْقٍ ... ألا يا صاحِ : أنتَ أُرِيدُ ، أَنْتَا

تنامُ الدَّهرَ وَيْحَكَ في غَطيطٍ ... بِهَا حتَّى إذا مِتَّ انتبَهْتَا

أبا بكرٍ دَعَوْتُكَ لو أَجَبْتَا ... إلى ما فِيهِ حَظُّكَ إن عَقَلْتَا

إلى عِلْمٍ تكونُ بِهِ إماماً ... مُطَاعَاً إن نَهَيْتَ وإنْ أَمَرْتَا

يَنالُكَ نَفْعُهُ ما دُمْتَ حَياً ... وَيَبْقَى ذُخْرُهُ لكَ إن ذَهَبتا

وكَنْزاً لا تَخَافُ عَلَيْهِ لِصاً ... خَفيفَ الحَملِ يُوجَدُ حيثُ كُنتا

يَزِيدُ بِكَثرَةِ الإنْفَاقِ مِنْهُ ... ويَنقُصُ إن بِهِ كفاً شَدَدْتَا

فلو قد ذُقْتَ مِنْ حَلواهُ طَعْماً ... لآثرت التعلُّم واجْتَهَدْتا

فَواظِبْهُ وخُذ بالجِد فيهِ ... فإن أَعْطَاكَهُ اللهُ أَخَذْتَا

وإنْ أُوتِيْتَ فِيهِ طَويلَ باعٍ ... وَقَالَ النَّاسُ إنَّكَ قَدْ سَبَقْتَا

فَلا تأمَنْ سُؤالَ اللهِ عنهُ ... بتوبيخٍ : عَلِمْتَ فَهَلْ عَمِلتَا ؟

---

(٢٢٣) وقد بلغت أبياتها ١١٥ بيتاً، ولهذا قال في آخرها :

وقد أردفتها تسعاً حِساناً ... وكانت قبل ذا مائةً وستا

(ينظر ترجمة الإلبيري في الأعلام ١/ ٧٣) وينظر ديوان أبي إسحاق الإلبيري - بتحقيق – د. محمد رضوان الداية

(٢٢٤) المنون : الموت.





فَرَأْسُ العِلْمِ تَقْوَى اللهِ حَقاً ... وَلَيْسَ بِأن يُقَالَ : لَقَدْ رَأَسْتَا

إذَا ما لَمْ يُفِدْكَ العِلْمُ خَيْراً ... فَخَيْرٌ مِنْهُ أَن لَوْ قَدْ جَهِلْتَا

وإن ألقَاكَ فَهْمُكَ في مَهاوٍ ... فَلَيتَكَ ثُمَّ لَيْتَكَ مَا فَهِمْتَا

وَمَا يُغنِيكَ تَشْيِيدُ المَباني ... إذا بالجَهْلِ نَفْسَكَ قَدْ هَدَمْتَا

جَعَلْتَ المَالَ فَوقَ العِلْمِ جَهْلاً ... لَعَمْرُكَ في القَضِيَّةِ ما عَدلْتَا

وبَيْنَهُما بِنَصِّ الوَحْي بَوْنٌ ... سَتَعْلَمُهُ إذا طهَ قَرَأْتَا(٢٢٥)

لَئِنْ رَفَعَ الغنيُّ لواءَ مالٍ ... لأَنْتَ لواءَ عِلْمِكَ قد رَفَعْتَا

وإن جَلَسَ الغنيُّ على الحَشايا(٢٢٦) ... لأَنْتَ عَلَى الكواكب قد جَلَسْتا

فَقَابِلْ بالقَبولِ صَحِيْحَ نُصحي ... فَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسِرْتا

وَإن راعَيْتَهُ قَولاً وفِعْلاً ... وَتَاجَرْتَ الإلَهَ بِهِ رَبِحْتَا

فليْسَتْ هذِهِ الدَّنيا بِشَيءٍ ... تَسُوؤُكَ حقبَةً وتَسُرُّ وَقْتاً

وَتَطعِمُكَ الطَّعَامَ وَعَن قَريبٍ ... ستَطْعَمُ منكَ ما مِنْها طَعِمْتا

وتشهَدُ كلَّ يومٍ دفنَ خِلٍّ ... كَأَنَّك لا تُرادُ بِما شَهِدْتا

ولا تحزَن على ما فاتَ مِنْها ... إذا ما أنتَ في أُخْرَاكَ فُزْتَا

فليسَ بنافعٍ ما نِلْتَ فيها ... مِنَ الفَاني ، إذا الباقي حُرِمْتا

ولا تَضْحَكْ مَعَ السُّفهاءِ لَهْواً ... فإنَّكَ سوفَ تَبكي إن ضَحِكتا

وسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوفيقَ فِيها ... وأَخْلِصْ في السُّؤالِ إذا سَأَلْتا

---

(٢٢٥)يشير إلى قوله تعالى في سورة طه : M ! " # $ & ' ( ) * + , - . / 0 1
2 3 4 L سورة طه آية /١١٤.

(٢) الحشايا : جمع حشية ، أي : الفراش المحشو.





وأكْثِــرْ ذكــرَهُ في الأرضِ دَأْبــاً ... لِتُـــذْكَرَ في الـــسَّماء إذا ذَكَرْتـــا
وَلاَ تَقُــل الــصِّبا فيــه مَجَــالٌ ... وفَكِّــرْ كــم صَــغَيْرٍ قَــد دَفَنْتــا
وقُــلْ لي يــا نَــصيحُ لأَنــتَ أَولى ... بِنُصحِكَ لَوْ بعقلكَ قَدْ نَظَرْتـا[227]
وفي صِـــغَري تُخَـــوِّفُني المَنايـــا ... ومـا تَجْـري ببالِـكَ حِـيْنَ شِـخْتا
وكُنْـتَ في الـصِّبا أهْـدَى سَـبيلاً ... فـما لـكَ بَعـدَ شَـيْبكَ قـد نُكِـسْتا
لَيَقْــبُحُ بــالفَتى فِعْــلُ التَّــصَابي ... وأَقْــبحُ منــهُ شــيخٌ قَــد تفتَّــى
وتُـشفق للمُـصرِّ عـلى المَعـاصي ... وتَرْحَمُـــهُ ، ونَفْـسَكَ مــا رَحِمْتــا
ولَـو قـد جئـتَ يـومَ الفَـصْلِ فَـرْداً ... وأبـصرتَ المنـازلَ فيـه شـتَّى[228]
لأَعْظَمْـــتَ النَّدامـــةَ فيـــهِ لهفـــاً ... عـلى مـا في حَياتـكَ قـد أضَـعْتا
تَفِــرُّ مِــنَ الهَجِــيْرِ[229] وتَتَّقِيـــهِ ... فَهَـلاَّ عـن جَهـنَّمَ قَـد فَرَرْتـا ؟!
ولــستَ تُطيــقُ أَهْوَنَــها عَــذَاباً ... ولــو كنــتَ الحديــدَ بِهَـا لَـذُبْتا
أبــا بَكــرٍ كَــشَفْتَ أقــلَّ عَيْبــي ... وأَكْثَـــرَهُ ومُعْظَمَـــهُ سَـــتَرْتا
فــلا تَــرْضَ المَعايــبَ فهــيَ عــارٌ ... عَظِـيمٌ يـورِثُ الإنـسانَ مَقْتــا
وتَهْـــوِي بالوجيـــهِ مِـــنَ الثُّرَيَّـــا ... وتُبْدِلُــه مكــانَ الفَــوْقِ تَحْتــا
وأَنــتَ الآنَ لَمْ تُعْــرفْ بِعَــابٍ[230] ... وَلا دَنَّــسْتَ ثَوبَــكَ مُــذ نَــشَأْتا
جمعــتُ لــكَ النَّــصائحَ فامْتَثِلهــا ... حياتَـكَ ؛ فهـيَ أَفْـضَلُ مـا امْتَثَلْتـا
وطَوَّلْـــتُ العِتـــابَ وزِدْتُ فيـــهِ ... لأَنَّـــكَ في البَطالـــةِ قَـــد أَطَلْتـــا
فــلا تأخُــذْ بتقــصيري وسَــهْوي ... وخُــذْ بوصِــيَّتي لــكَ إن رَشَــدْتا

---

(1) يلتفت الشاعر هنا التفاتة بديعة ليوجِّه النصح إلى نفسه على لسان ولده، ويعاتب نفسه على تقصيرها، ويزجرها على تفريطها، وهذا درس بليغ من الإمام الإلبيري رحمه الله لكل مسلم ليبادر إلى محاسبة نفسه وعتابها ، ولا يظن أنه من أهل العلم والفضل فلا يحتاج لمحاسبة النفس، وقد قال عمر بن الخطاب t : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسَبوا) للمزيد في هذا الموضوع ينظر : منهج الإسلام في تزكية النفس - للمؤلف – ص/ ٢٦٠.

(٢٢٨) شتى : أي متفاوته.

(٣) الهجير : شدة الحر في منتصف النهار .

(٣٠) أي : بعيب و نقص .





وصية الشاعر الحصري لنفسه

يتخذ الشاعر أبو الحسن الحصري[١] من مصابه بوفاة ولده فرصة لموعظة نفسه على لسان ولده الميت، الذي يرجو له رحمة الله ومغفرته وجنته، بأسلوب شعري بديع ومؤثر، وهكذا يتحول من رثاء ولده الميت إلى تقريع لنفسه، وزجر لها عن الغفلة، وتزويدها بنفائس الوصايا، فيقول[٢] :

سألتُ حبيب النفس أين مكانه	إذا نُشر الموتى وأين مكاني؟
فقال :مكاني حيث جئتُ بجنة	مُذلَّلةٍ منها القطوف دواني
ولا علمَ لي إلا بنفسي وجدتُها	فيا أبتا عمل صالحاً لتراني
ويا أبت احذر فتنة القبر إنها	مخافة مَنْ لم يجتهد لأمانِ
ويا أبت اعمل لستَ عني جازياً	ولا عنك أجزي غير شانك شأني
ويا أبت اتلُ الذكر حسبكَ واعظاً	تَدبُّرُ آيٍ فُصِّلَت ومثانِ
ويا أبت استيقظ فإنك نائمٌ	ويا أبت استعجل فإنك وان
ويا أبت استشفع نبيك واثقاً	بوعد يوفِّيه غداً وضمان
نجا ابنك فانظر في نجاتك واعتمد	على عملٍ يبقى فإنك فان

---

(١) هو أبو الحسن علي بن عبدالغني الحصري، المقرىء الشاعر من القيروان، له تصانيف في القراءات منها القصيدة الرائية الحصرية في قراءة نافع، وأقرأ الناسَ القرآن الكريم بسبته، انتقل إلى الأندلس وتوفي بطنجة سنة ٤٨٨هـ. ينظر : (سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٦ - شذرات الذهب ٣/ ٣٨٥ الأعلام ٤/ ٣٠٠) .

(٢) ديوان الحصري - ص / ٣٧٦ .





مختارات من قصيدة الإمام ابن الوردي

من نفائس الوصايا الشعرية التي اشتهرت بين العلماء وطلاب العلم جيلاً بعد جيل القصيدة المسماة (لامية ابن الوردي) [٢٣١] للإمام زين الدين عمر بن مظفر المعروف بابن الوردي المتوفى عام ٦٨٩هـ في مدينة حلب .

وإليك مختارات من هذه القصيدة البديعة [٢٣٢] :

اعْتَـزِلْ ذِكْـرَ الأغَـانِي وَالغَـزَلْ	وَقُـلِ الفَصْلَ وَجَانِـبْ مَـنْ هَـزَلْ
واتَّـقِ اللهَ فَتَقْـوَى الله مـا	جَـاوَرَتْ قَلْـبَ امْـرِىءٍ إلاَّ وَصَـلْ
لَـيْسَ مَـن يَقْطَـعُ طُرُقـاً بَطَـلاً	إنَّـمَا مَـنْ يَتَّـقِ اللهَ البَطَـلْ
أَيْـنَ مَـنْ سَـادُوا وشَـادُوا وَبَنَـوْا	هَلَـكَ الكُـلُّ فَلَـم تُغـنِ القُلَـلْ [٢٣٣]
سَـيُعيدُ اللهُ كُـلاًّ مِـنْهُمُ	وَسَـيَجْزِي فَـاعِلاً مَـا قَـدْ فَعَـلْ
أيْ بُنَـيَّ اسْـمَعْ وصَـايَا جَمَعَـتْ	حِكَـماً خُـصَّتْ بِهَـا خَـيْرُ المِلَـلْ [٢٣٤]
اطْلُـبِ العِلْـمَ ولاَ تَكْـسَلْ فَـمَا	أَبْعَـدَ الخَـيْرَ عَـلَى أهْـلِ الكَـسَلْ
لا تَقُـلْ قَـدْ ذَهَبَـتْ أَرْبَابُـهُ	كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الـدَّرْبِ وَصَـلْ [٢٣٥]

---

(٢٣١) سميت (لاميَّة) لانتهاء قافية أبياتـها بحرف اللام .

(٢٣٢) المرجع: العطر الوردي شرح لامية ابن الوردي للدكتور مصطفى بن كرامة الله مخدوم - ط١/١٤٢٠هـ دار أشبيلية بالرياض .

(٢٣٣) القُلل: جمع قُلَّة، وقلة كل شيء رأسه وأعلاه، والمراد هنا القصور العالية والأبنية المرتفعة .

(٢٣٤) خير الملل هي شريعة الإسلام التي اختصت بكمال بيان هذه الوصايا وشدة العناية بِهَا .

(٢٣٥) أي : لا تقل قد مضى أهل العلم وأصحابه ولا يمكن بلوغ طريقهم، فإنَّ من سنة الله في عباده أنَّ لكل مجتهد نصيب، فعليك بالأخذ بالأسباب لنيل العلم وبلوغه .





فِي ازدِيَادِ العِلْمِ إرْغَامُ العِدَا	وَجَمَالُ العِلْمِ إصْلاحُ العَمَلْ [٢٣٦]
جمِّلِ المَنْطِقَ بِالنَّحْوِ فَمَنْ	يُحْرَم الإعْرَابَ بِالنُّطْقِ اخْتَبَلْ [٢٣٧]
اطْرَحِ الدُّنْيَا فَمِنْ عَادَاتِهَا	تَخفِضُ العَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلْ [٢٣٨]
لا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَداً	إنَّمَا أَصْلُ الفَتَى مَا قَدْ حَصَلْ [٢٣٩]
قِيمَةُ الإنْسَانِ مَا يُحسِنُهُ	أكْثَرَ الإنسَانُ مِنْهُ أوْ أقَلّ
لا تَخُضْ فِي سَبِّ سَادَاتٍ مَضَوْا	إنّهمْ لَيْسُوا بِأَهْلٍ لِلزَّلَلْ [٢٤٠]
قصِّر الآمال في الدنيا تفُزْ	فدليلُ العقل تقصير الأملْ [٢٤١]
إنَّ مَنْ يَطْلُبُهُ المَوْتُ عَلَى	غرَّةٍ مِنْهُ جَدِيرٌ بِالوَجَلْ [٢٤٢]

(٢٣٦) أي : لا يكون الرجل عالماً حتى يعمل بعلمه، وعدم العمل بالعلم قُبح وفساد .

(٢٣٧) اختبل : من الاختبال وهو الدهشة والتحير، والمراد أنَّ معرفة النحو والإعراب ضرورية لطالب العلم لئلا يخطىء في كلامه، ويتحير في ألفاظه.

(٢٣٨) اطرح الدنيا، أي : أخرج حبها من قلبك ولا تجعلها مقصودك، واجعل سعيك فيها طريقاً لنيل مرضاة ربك سبحانه .

(٢٣٩) أي : لا تقل يكفيني شرف نسبي وحسبي وفضل آبائي وأجدادي، فالإنسان بعمله لا بنسبه، والرسول ﷺ يقول: (ومن بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه) فبادر إلى طلب الفضل والشرف بأعمالك الصالحة .

(٢٤٠) هذا تحذير من الإمام ابن الوردي من الوقوع في سبِّ سادات المسلمين من الصحابة والتابعين والعلماء الصالحين لأنهم ورثة الأنبياء، وقد نقلوا إلينا هذا الدين، فالطعن فيهم طعن في الشريعة، وهم مجتهدون في أعمالهم، قاصدون للحق فجزاهم الله خيراً، والواجب حسن الظن بهم ومحبتهم وتقديرهم والاستغفار لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر :١٠] .

(٢٤١) شأن العاقل ألا يغتر بالدنيا ويتكالب على حطامها وينسى العمل للآخرة، فالدنيا دار ممر لا مقرٍّ، وطول الآمال بالدنيا يتولد عنه الكسل عن الطاعة وقسوة القلب .

(٢٤٢) غرَّة: أي غفلة، والوجل هو الخوف، وهذا البيت تعليل للبيت السابق، والمراد : إنَّما أمرتك بتقصير الأمل في الدنيا لأنَّك لا تدري متى ستموت، فعليك بالاستعداد للرحيل والخوف من المولى سبحانه.





أيُّهــا العَائِــبُ قَــوْلِي عابِثَــاً إنَّ طِيْــبَ الــوَرْدِ مُــؤْذٍ بِالْجُعَــلْ [٢٤٣]

أنَــا مِثْــلُ المَــاءِ سَــهْلٌ سَــائِغٌ وَمَتَــى ســخِّنَ آذَى وَقَتَــلْ

غَــيْرَ أنِّي فِي زَمَــانٍ مَــنْ يَكُــنْ فِيــهِ ذَا مَــالٍ هــوَ المــوْلَى الأَجَــلّ

واجــبٌ عنــد الــورى إكرامــه وقليــلُ المــال فــيهم يُــسْتَقَلْ [٢٤٤]

---

(٢٤٣) يختم الإمام ابن الوردي وصاياه بالتأكيد على أهميتها وضرورة التمسك بهَا، وأنَّ الذي لا يأخذ بهَا ويُنقص من قدرها هو الناقص المذموم، ولا يعيبها إلا من كان العيب فيه، كما أنَّ الجُعَل (وهو أحد الحشرات) يتأذى بالورد الطيِّب .

(٢٤٤) يصف ابن الوردي زمانه الذي انقلبت فيه موازين الناس وأصبح المقدَّم عندهم صاحب المال، وأما العالم الناصح فلا يبالون به، فإذا كان هذا هو الحال أيام الإمام ابن الوردي منذ أكثر من سبعمائة سنة، فلينظر إلى أحوال الناس اليوم !!

وفي هذا تنبيه لطالب العلم ألا يسير مع هذه المقاييس المقلوبة، فيبيع دينه وعلمه بعَرَضٍ من الدنيا قليل.





وصية الإمام السبكي لولده

وهذه مختارات من وصية الإمام تقي الدين السبكي لولده محمد، وهو يودِّعه متوجهاً إلى الحج سنة (٧١٦هـ)، فقال :

بُنــيَّ لا تُهمــل نــصيحتي التــي	أُوصيك واسمع مـن مقـالي ترشُـدِ
احفــظ كتــاب الله والــسُّنن التـي	صــحَّت وفقــه الــشافعي محمَّــدِ
واعلــم أصــولَ الفقــه عِلــماً مُحكــماً	يهديك للبحث الصَّحيح الأيِّـدِ[٢٤٥]
وتعلَّــم النَّحــو الــذي يــدني الفتــى	مــن كــلِّ فهــمٍ في القُــران مُــسدَّدِ
وخُـــذِ العلــــوم بهمَّـــة وتفطُّـــنٍ	وقريحـــةٍ ســـمحاء ذات توقُّـــدِ
والـــزم كتابـــك دائـــماً مُـــتفهماً	واهجر منامـك في طـلاب الـسُّؤددِ
واسـلك سـبيل الـشافعي ومالـكٍ	وأبي حنيفــة في العلــوم وأحمــدِ
واقصد بعلمِكَ وَجْهَ ربِّـك خالـصاً	تظفــر بــسبل الــصالحين وتهتــدِ
وتجنَّـب اللهـو الـذي يُـزري الفتـى	وذَرِ الخلاعة والمُجـون مـع الـرَّدي
واتبـع صراط المـصطفى في كُـلِّ مـا	يــأتي بــه مــن كــلِّ أمــرٍ تــسْعَدِ
وعليك بالورع الـصحيح و لا تَحُـمْ	حَوْلَ الحِمى واقنُت لربِّكَ واسـجدِ
وصُن اللسان عن الخنا واحم الفـوا	عن الحرام وكف ّ عـن ظلـم اليـدِ
ومكـارم الأخـلاق طُـراً[٢٤٦]فأتهـا	مهما استطعت ووجهَ ربِّـك فاقـصدِ

(٢٤٥) الأيِّد : القوي .

(٢٤٦) طُراً : جميعاً .





واجعل شعارك ثوب زُهدٍ محكم　　واجعل دثارك ثوب عِلمٍ ترتدي

واحفظ سلوكك لا تزلَّ فإنه　　من زل يهوي في الجحيم ويبْعُدِ

وارفَعْ إلى الرَّحمن كُلَّ مُلِمَّةٍ　　بضراعةٍ وتَمَسكنٍ وتعبُّدِ

وإذا أتَتْكَ مقالةٌ قد خَالَفت　　نصَّ الكتاب أو الحديث المُسندِ

فاقفُ الكتاب ولا تَمِل عنه وقِفْ　　مُتأدِّباً مع كلِّ حبرٍ أوْحَدِ (٢٤٧)

فلُحُومُ أهل العِلم سُمَّت للجُنا　　ةِ عليهم فاحفظ لسانك وابعُدِ(٢٤٨)

واحفظ فؤادك أن تبوحَ بسرِّه　　فتظلَّ من مِحَنِ الزَّمان بِمرصَدِ

فالعلمُ والأدبُ الجميلُ مع التُّقى　　والحِلمُ أفضلُ ما ارتداه المُرتدي

هذي وصيَّتي التي أُوصيكَهَا　　أكرِم بها من والدٍ متودِّدِ

---

(٢٤٧) الحَبر (بفتح الحاء): هو العالم، ومنه سُمي ابن عباس رضي الله عنهما: حَبْر الأمة وترجمان القرآن.

(٢٤٨) وفي هذه الوصية تحذير من تجريح العلماء والطعن فيهم، وأن التعرض لهم بالإيذاء يوجب غضب الله سبحانه، كما ورد في الحديث القدسي : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)، وقد تكاثرت الوصايا في التحذير من انتقاص العلماء وغيبتهم، وتشبيه من يفعل ذلك بأنه يأكل لحماً مسموماً، وأورد الإمام النووي عن الإمام ابن عساكر أنه قال : (اعلم يا أخي أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه على العلماء بالثلب - أي : بالعيب - ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي – ص/ ٢١.





من بدائع وصايا الإمام ابن القيم

للإمام ابن قيم الجوزية (المتوفى سنة ٧٥١هـ) قصيدة بديعة حفلت بنفائس التوجيهات والوصايا، وذخرت بجملة من الآداب والفوائد، وختمها بالحديث عن نعيم الجنة والشوق إليها، وبلغت أبيات هذه القصيدة ٢٢٩ بيتاً، وإليك مختارات منها[٢٤٩] :

إذا طلعَتْ شَمْسُ النَّهار فَإِنَّهَا ... أَمَارَةُ تَسْلِيمي عَلَيْكُم فسَلِّموا

سَلامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ ... وَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَفَضْلٌ وَأَنْعمُ

عَلى الصَّحْبِ والإخْوَانِ والوِلْدِ والأُلى ... رَعَوْهُمْ بإحسَانٍ فَجَادُوا وَأَنْعَموا[٢٥٠]

أُولئِكَ أَتْبَاعُ النَّبِيِّ وَحِزْبُهُ ... وَلَوْلاهُمُ مَا كَانَ فِي الأَرْضِ مسْلِمُ

فَيَا مُحْسناً بَلِّغْ سَلامِي وَقُلْ لَهُم ... مُحِبُّكُمُ يَدْعُو لكُمْ وَيسَلِّمُ

..*

وَيَا مُوقِداً نَاراً لِغَيْرِكَ ضَوءُهَا ... وَحَرُّ لَظاهَا بَيْنَ جَنْبَيْكَ يَضْرِمُ[٢٥١]

أَهَذَا جَنَى العِلْمِ الَّذي قَدْ غَرَسْتَهُ ... وَهَذَا الَّذي قَدْ كُنْتَ تَرْجُوهُ يُطْعِمُ

وَهَذَا هُوَ الحَظُّ الَّذي قَد رَضِيتَهُ ... لِنَفْسِكَ فِي الدَّارَيْنِ جَاهٌ وَدِرْهَمُ

وَهَذَا هُوَ الرِّبْحُ الَّذي قَدْ كَسِبْتَهُ ... لَعَمْرُكَ لا رِبْحٌ وَلا الأَصْلُ يَسْلَمُ

بَخِلْتَ بِشَيءٍ لا يَضُرُّكَ بَذْلُهُ ... وَجُدْتَ بِشَيءٍ مِثْلُهُ لا يُقَوَّمُ[٢٥٢]

وَبِعْتَ نَعِيماً لا انْقِضَاءَ لَهُ وَلا ... نَظِيرَ بِبَخْسٍ عَنْ قَلِيلٍ سَيُعْدَمُ

---

(٢٤٩) المرجع: كتاب (شرح القصيدة الميمية) للإمام ابن القيم، شرح: سعد مزعل، دار ابن حزم.

(٢٥٠) الوِلد بالكسر : جمع ولد، فهو يزف هذا السلام إلى الأصحاب والإخوان والأولاد، وإلى الذين أحاطوهم بالرعاية .

(٢٥١) لظاها : لهبها ، يضرم : يشتعل .

(٢٥٢) أي : بخلت بالمال الفاني، ومقابل ذلك زهدت ولم تحرص على النعيم الدائم في الجنة.





فَهَلاَّ عَكَسْتَ الأَمْرَ إنْ كُنْتَ حَازِمَاً ... وَلَكِنْ أَضَعْتَ الحَزْمَ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ

تُنَزِّهُ مِنْكَ النَّفْسَ عَن سُوءِ فِعْلِهَا ... وَتَعْتِبُ أَقْدارَ الإلـه وَتَظْلِمُ(٢٥٣)

مُضِيعٌ لأمْرِ الله قَدْ غَشَّ نَفْسَهُ ... مُهِينٌ لَهَا أَنَّى يُحَبُّ وَيُكْرَمُ

بَطِيءٌ عَنِ الطَّاعَاتِ أَسْرَعُ للخَنَا ... مِنَ السَّيْلِ فِي مَجْرَاهُ لا يَتَقَسَّمُ(٢٥٤)

وَتَزْعُمُ مَعْ هَذا بِأَنَّكَ عَارِفٌ ... كَذَبْتَ يَقِيناً فِي الَّذي أَنْتَ تَزعُمُ

وَمَا أَنْتَ إلاَّ جَاهِلٌ ثُمَّ ظَالِمٌ ... وإنَّكَ بَيْنَ الجَاهِلينَ مُقَدَّمُ

فَإِن كُنْتَ لا تَدْرِي فَتِلْكَ مُصِيبَةٌ ... وَإنْ كُنْتَ تَدْري فَالْمُصِيبَةُ أَعْظَمُ

وَلَوْ تُبْصِرُ الدُّنْيَا وَرَاءَ سُتُورِهَا ... رَأَيْتَ خَيَالاً فِي مَنَامٍ سَيُصْرَمُ

فجُزْهَا مُمِراً لا مُقِراً وكُنْ بِهَا ... غَرِيْبَاً تَعِشْ فِيهَا حَمِيْداً وَتَسْلمُ(٢٥٥)

وَحَسْبُكَ مَا قَالَ الرَّسُولُ مُمَثِّلاً ... لهَا ولِدارَ الخلْدِ والحَقُّ يُفْهَمُ

كَمَا يُدْلِيَ الإنْسَانُ فِي اليَمِّ إِصْبَعاً ... وَيَنْزِعُهَا مِنْهُ فَمَا ذَاكَ يَغْنَمُ(٢٥٦)

* . * . *

فَيَا سَاهِياً فِي غَمْرَةِ الجَهْلِ وَالهَوَى ... صَرِيْعَ الأَمَانِي عَنْ قَرِيبٍ سَتَنْدَمُ

أفقْ قَدْ دَنَا الوَقْتُ الَّذي لَيْسَ بَعْدَهُ ... سِوى جَنَّةٍ أَوْ حَرِّ نَارٍ تَضَرَّمُ

وَبِالسُّنَّةِ الغَرَّاءِ كُنْ مُتَمَسِّكَاً ... هِي العُرْوَةُ الوُثْقَى الَّتي لَيْسَ تُفْصَمُ

---

(٢٥٣) يشير الإمام ابن القيم هنا إلى آفة يقع فيها كثير من الناس، حيث يلتمس أحدهم لنفسه الأعذار عند فعل المحرمات، ليجد مساغاً لفعلها، وإذا وقع في مكروه يلوم القدر الذي كُتب عليه، وذلك بسبب اتباعه لهواه ونفسه الأمارة بالسوء.

(٢٥٤) أي: مقصر في فعل الطاعات ومتكاسل عن أدائها، أما الفواحش فهو سريع إليها، أسرع من السيل إذا كان مجتمعاً لم يتشعب.

(٢٥٥) جُزها: أي اعبرها، فالدنيا ممرٌ لا مقر، وقد سبقت وصية الرسول ﷺ لابن عمر t: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل).

(٢٥٦) إشارة إلى الحديث النبوي الذي رواه مسلم (رقم / ٢٨٥٨): وهو قوله ﷺ: (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بمَ يرجع). أي: كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع إلى باقي البحر.





وهَيِّىء جَوَاباً عِندما تَسْمَعُ النِّدا مِنَ اللهِ يَوْمَ العَرْضِ مَاذَا أَجَبْتُمُ[٢٥٧]

وَخُذْ مِنْ تُقَى الرَّحْمَنِ أَعْظَمَ جُنَّةٍ لِيَوْمٍ بِهِ تَبْدُو عَيَاناً جَهَنَّمُ[٢٥٨]

وَيُنْصَبُ ذاكَ الجِسْرُ مِنْ فَوْقِ مَتْنِهَا فَهَاوٍ وَمَخْدوشٍ وَنَاجٍ مُسَلَّمُ

وَيَأْتِي إِلَهُ العَالَمِينَ لِوَعْدِهِ فَيَفْصِلُ مَا بَيْنَ العِبَادِ وَيَحْكُمُ

وَيَأْخُذُ لِلْمَظْلُومِ رَبُّكَ حَقَّهُ فَيَا بُؤْسَ عَبْدٍ لِلخَلائِقِ يَظْلِمُ

وَتَشْهَدُ أَعْضَاءُ المُسِيءِ بِمَا جَنَى كَذَاكَ عَلَى فِيهِ المُهَيْمِن يَخْتِمُ[٢٥٩]

فيا لَيتَ شِعرِي كيفَ حالُكَ عِنْدَمَا تَطَايَرُ كُتبُ العَالَمِينَ وَتُقْسَمُ

أَتَأْخُذُ بِاليُمْنَى كِتَابَكَ أَمْ تَكُنْ بِالاخْرَى وَرَاءَ الظَّهْرِ مِنْكَ تُسَلَّمُ

وَتَقْرأُ فِيهِ كُلَّ شَيءٍ عَمِلْتَهُ فَيُشْرِقُ مِنْكَ الوَجْهُ أَوْ هُوَ يُظْلَمُ

تَقُولُ كِتَابِي فاقْرَءُوهُ فَإِنَّهُ يُبَشِّرُ بِالفَوزِ العَظِيمِ وَيُعْلِمُ

فَإِنْ تَكُنِ الأخْرَى فإِنَّكَ قَائِلٌ أَلا لَيْتَنِي لَمْ أُوْتَهُ فهْوَ مُغْرَمُ

فبَادِرْ إذاً مَا دَامَ فِي العُمْرِ فُسْحَةٌ وَعَدْلُكَ مقبولٌ وَصرْفُكَ قيِّمُ[٢٦٠]

وَجِدَّ وَسَارِعْ وَاغْتَنِمْ زَمَنَ الصِّبَا فَفِي زَمَنِ الإمْكَانِ تَسْعَى وَتَغْنَمُ

وَسِرْ مُسْرِعاً فَالموتُ خَلْفَكَ مُسْرِعُ وَهَيْهَاتَ مَا مِنْهُ مَفَرٌّ ومَهْزَمُ

..*

فَيَا خَاطِبَ الحَسْنَاءِ إنْ كُنْتَ رَاغِباً فَهذا زَمانُ المهْرِ فَهْوَ المُقَدَّمُ

وَإِنْ ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِأَسْرِهَا وَلَمْ يَكُ فِيهَا منْزِلٌ لَكَ يُعْلَمُ

---

(٢٥٧) إشارة إلى قوله سبحانه: M r s t u v w x L القصص: آية/٦٥.

(٢٥٨) جُنَّة: أي وقاية.

(٢٥٩) على فيه: أي فمه، يقول عز وجل: M p q r s t u v w x y z { L يس: آية/٦٥.

(٢٦٠) عدلك مقبول: أي عدولك ورجوعك إلى الله عز وجل، والصرف: التوبة.





فَحَـــيَّ عَـــلَى جَنَّـــاتِ عَـــدْنٍ فإنَّهـــا　　　مَنَازِلُــــكَ الأُولى وَفِيهـــا المُخَـــيَّمُ

وَلَكِنَّنَـــا سَـــبيُ العَـــدوِّ فَهَـــلْ تَـــرى　　　نَعُــــودُ إلى أَوْطَانِنَـــــا ونُــــسَلَّمُ

وَحــــيَّ عَـــلَى رَوْضَاتِـــهَا وَخِيَامِهَـــا　　　وَحَـــيَّ عَـــلَى عَـــيشٍ بِهَـــا لَـــيْسَ يُـــسْأَمُ

وَحَـــيَّ عـــلى يَـــوْمِ المَزِيـــدِ الَّـــذي بِـــهِ　　　زِيَـــارَةُ رَبِّ العَـــرْشِ فَـــالْيَوْمُ مَوْسِـــمُ

فَبَيْنَـــا هُـــمُ في عَيْـــشِهِمْ وَسُرُورِهِـــمْ　　　وأَرْزَاقُهـــم تَجْـــرِي عَلَـــيْهِم وَتُقْـــسَمُ

إذَا هُـــمْ بِنُـــورٍ سَـــاطِعٍ قَـــدْ بَـــدَا لَهُـــمْ　　　وَقَـــدْ رَفَعُـــوا أَبْـــصَارَهُمْ فَـــإِذَا هُـــمُ

بِربِّـــــهِمُ مِـــنْ فَـــوْقِهِم قَائِـــلٌ لَهُـــمْ　　　سَـــلامٌ عَلَـــيْكُم طِبْـــتُمُ وَنَعِمْـــتُمُ

يَقُولُ : سَلُونِي مَـا اشْـتَهَيْتُم فَكُـلُّ مَـا　　　تُرِيـــدُونَ عِنْـــدِي إنَّنِـــي أَنَـــا أَرْحَـــمُ

فَقَـالُوا جَمِيْعَـاً: نَحْـنُ نـسْأَلُكَ الرِّضَـا　　　فَأَنْـــتَ الَّـــذي تُـــولِي الجَمِيـــلَ وَتَـــرحَمُ

فَيُعْطِـــيهِمُ هَـــذَا وَيُـــشْهِدُ جَمْعَهُـــم　　　عَلَيْـــهِ -تَعَـــالَى اللهُ- فَـــاللهُ أَكْـــرَمُ(٢٦١)

فَبِـالله مَـا عُـذْرُ امْـرِىءٍ هُـوَ مُـؤْمِنٌ　　　بِهَـــذَا وَلاَ يَـــسْعَى لَـــهُ وَيُقَـــدِّمُ

فَيَـــا بَائِعَـــاً هَـــذَا بِـــبَخْسٍ مُعَجَّـــلٍ　　　كأَنَّـكَ لا تَـدْرِي، بَـلَى سَـوفَ تَعْلَـمُ

فَقَدِّم -فَدَتْكَ الـنَّفسُ- نَفْسَك إنَّهَـا　　　هِـــيَ الـــثَّمَنُ المَبْـــذُولُ حِـــينَ تُـــسَلِّمُ

فَـــمَا ظَفَـــرَتْ بِالوَصْـــلِ نَفْـــسٌ مَهِينَـــةٌ　　　وَلا فَـــــازَ عَبْـــــدٌ بِالبطَالَـــــةِ يَـــــنْعَمُ

---

(٢٦١) وتأمل قول الله عز وجل :M (* + , - . / 0 L القيامة: ٢٢ - ٢٣.

والحديث الذي رواه مسلم (رقم/١٨١) عن صهيب t عن النبي ﷺ قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال : فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل) .



دُرر الحكم والوصايا
للشاعر أحمد شوقي

للشاعر أحمد شوقي(٢٦٢) قصيدة نفيسة في تكريم المعلم وبيان منزلته، والدعوة للأخلاق الفاضلة، وتتضمن القصيدة مجموعة بديعة من الوصايا والتوجيهات لشباب الأمة والمربين، وإليك مختارات منها نختم بها نفائس الوصايا الشعرية، فقد قال رحمه الله(٢٦٣):

قُــمْ للمعلِّــم وفِّــهِ التبجــيلا	كـاد المعلـمُ أَن يكـون رسـولا(٢٦٤)
أعلمتَ أَشرَفَ أَو أَجـلَّ مِـن الـذي	يبنـي، ويُنـشِىء أَنفُسـاً وعقـولا؟
وإذا المعلِّـمُ لم يكـن عـدلاً، مـشى	روحُ العدالـةِ في الـشباب ضـئيلا

---

(٢٦٢) أحمد شوقي، شاعر مصري يلقب بأمر الشعراء، جرى شعره على كل لسان، وديوان شعره (الشوقيات) يقع في أربعة أجزاء، وله كتب أخرى، توفي سنة ١٩٣٢م- (الأعلام ١/ ١٣٦).

(٢٦٣) ديوان الشوقيات – ١/ ١٨٠.

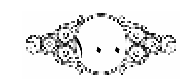
(٢٦٤) ولقد تغير حال المعلم ومكانته بين الناس، عندما ضيع كثير من المعلمين رسالة التعليم بتهاونهم وتشاؤمهم وأطماعهم الدنيوية، فهانت نفوسهم، وهانت الأمة بهوانهم، ونظمت قصائد شعرية كثيرة تعارض قصيدة شوقي في بيان هوان المعلم وتعاسته، منها قول الشاعر أحمد طوقان على لسان أحد هؤلاء المعلمين المتشائمين :

(شوقي) يقول، ومادرى بمصيبتي:	قم للمعلم وفِّه التبجيلا
اقعد فديتك، هل يكون مبجلاً	من كان للنشء الصغار خليلا؟
لو جرَّب التعليم (شوقي) ساعةً	لقضى الحياة شقاوة وخمولا

ويصدق على أمثال هؤلاء قول الإمام الجرجاني

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظموه في النفوس لعظما

(ينظر : الهمة العالية في حياة المعلم – للمؤلف)





وإذا المعلِّـم سـاءَ لحـظَ بـصيرةٍ   جاءت على يده البصائرُ حُـولا[٢٦٥]

وإذا أتى الإرشادُ من سبب الهوى   ومـن الغـرورِ، فَسمِّه التـضليلا

وإذا أُصـيب القـومُ في أخلاقهـم   فـأقِمْ علـيهم مأْتمـاً وعـويلا

وإذا النـساءُ نـشأن في أُمِّيـةٍ   رَضَـع الرجـالُ جهالـةً وخمـولا

لـيس اليتيمُ مـن انتهـى أبـواهُ مـن   هَـمِّ الحيـاةِ، وخلَّفـاهُ ذلـيلا

إنَّ اليتـيم هـو الـذي تَلقـى لـه   أُمـاً تخلَّـتْ، أَو أَبـاً مـشغولا

..*

قل للشباب : اليومَ بُـورك غرسُـكم   دنـت القطـوفُ ، وذُلِّلَـتْ تـذليلا

مـا أبعـدَ الغايـاتِ !! إلا أننـي   أجـدُ الثبـاتَ لكـم بهـنّ كفـيلا

فَكِلـوا إلى اللهِ النجـاحَ، وثـابروا   فـالله خـيرٌ كـافلاً ووكـيلا

(٢٦٥) الحول: جمع حولاء، وهي: مَنْ في عينها حول، والحول: إقبال الحدقة على الأنف، وهو عيب ومرض.

القسم الخامس



١. رسالة لطالب مغترب .

٢. وصية الشيخ علي الطنطاوي لأخيه .

٣. وصية الشيخ حسنين مخلوف لولده .





W :

إذا كان المسلم لا يستغني عن الوصايا وهو مقيم بين أهله وإخوانه فما بالك به عندما يسافر وينأى عن الديار، وينتقل إلى بيئة لا يعرفها وأناس لهم طبائع مستنكَرة، وعادات مستقبحة، وليس معه صاحب ناصح، ولا جليس صالح، والنفس أمارة بالسوء، والشباب عاطفة متأججة، والشيطان عدوٌ ماكرٌ، يتحين الفرص ليصطاد بشباكه القلوب، ويأسرها بقيود الشهوات المحرمة، وعندها يأتي الإيمان ليكون خير وازع، وأعظم حصن، وينبض قلب المؤمن بحلاوة الإيمان فيكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ويكره أن يرجع إلى الكفر والفسوق والعصيان بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار.

ولهذا كانت الوصايا الإيمانية خير زاد للمغترب المسافر، فالمؤمن يؤثِّر في الآخرين بدعوته وصلاحه أينما كان، وأما الفاسق فإنه سرعان ما يجرفه التيار فلا يقرُّ له قرار .

ولقد حرص المربون والحكماء منذ عهد السلف – رحمهم الله - على تزويد المسافر بالوصايا، ليحافظ على الآداب الشريفة في غربته، ومن هذا القبيل وصية عبد الملك بن سعيد الأندلسي لابنه علي عند عزمه على الرحلة إلى بلاد الشرق، حيث قال له [٢٦٦]:

أودعك الرحمن في غربتك ... مرتقباً رحماه في أوبتك[٢٦٨]

فلا تُطل حبل النوى[٢٦٧] إنني ... واللهِ أشتاق إلى طلعتك

---

(٢٦٦) انظر : كتاب الرحلات - للشيخ محمد الخضر حسين - ص/١٨ .

(٢٦٧) النوى : البُعد .

(٢٦٨) أوبتك : أي رجوعك أو غيابك، يقال : آب إليه : أي رجع، وآبت الشمس : أي غابت .



وقال له :

فليس يُدرى أصل ذي غربة   وإنما تُعرف من شيمتك[٢٦٩]

ونبهه لبعض الآداب فقال :

وامش الهوينا مُظهراً عفةً   وابغِ رضا الأعين عن هيئتك

وكل ما يفضي لعذر فلا   تجعله في الغربة من إربتك[٢٧٠]

ولا تجادل حاسداً أبداً   فإنه أدعى إلى هيبتك

كما أوصت أعرابية ابنها وهو يريد السفر فقالت له :

(أي بني، اجلس امنحك وصيتي، وبالله توفيقك، فإن الوصية أجدى عليك من كثير من عقلك. إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة وتفرِّق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب فتُتخذ غرضاً، وخليق ألا يثبك الغرض على كثر السهام، وإياك والجود بدينك والبخل بمالك، ومثِّل لنفسك مثال ما استحسنتَ من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يدري عيب نفسه، والغدر أقبح ما تَعاملَ به الناس بينهم).

وإليك أخي القارئ ثلاثة نماذج لوصايا المربين والعلماء المعاصرين لأهل الغربة البعيدين عن أوطانهم :

---

(٢٦٩) الشيمة : الخُلقُ.

(٢٧٠) إربتك أي : قصدك وبغيتك.





رسالة إلى الطالب المسلم المغترب

في عام ١٩٣٥م، كتب الشيخ حسن البنا – رحمه الله – رسالة لطالب مسلم ذهب مع زوجته للدراسة في بلاد الغرب، وفيها نصائح ثمينة، ووصايا مهمة، **وهذا هو نص الرسالة** [٢٧١] :

(أخي في الله ..رعاه الله وكلأه :

أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تمسك بشريعته إلى يوم الدين وبعد:

السلام عليك ورحمة الله وبركاته، يوم تسافر صالح النية نبيل المقصد، ويوم تعود راشد المسعد حميد الأوبة، ويوم تخدم الإسلام المفدى بما قطفت من يانع ثمر العلوم، وناضر أزهار المعارف .

بعد فترة قليلة أيها العزيز ستكون بين قوم لم تعرفهم، وأناس لم تألفهم، يرون فيك مثال المسلم، فاحرص يا عزيزي أشد الحرص على أن تكون خير مثال، وأفضل صورة يفهم منها القوم أنَّ المسلم فضيلة، وأن المسلم نُبْل .

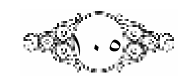
وإنَّ معك وديعة غالية هي زوجك الفاضلة، فاقدر ذلك، وكن لها رفيقاً أميناً يوفر لها الراحة، ويحقق لها السعادة، وشاطرها الهناءة في غير تساهل في الحقوق، أو تغافل عن الواجبات .

واقرأ معي هذه الكلمات التي أملاها حبي إياكما، وإخلاصي لكما كأخ كبير يتمنى لأخويه أفضل الأماني، ويرجو لهما أسعد الحياة :

يا أخي :

١ - **أحسن مراقبة الله تبارك وتعالى في كل شأنك**، واعلم أنَّه رقيب عليك، وناظرٌ إليك ومحيط بكل شأنك أينما كنت، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فاجتهد ألا يراك إلا حيث يرضى عنك وقتاً وحالاً، ولا تغفل عن مراقبة الحق تبارك وتعالى، فيتسرب إلى نفسك الشيطان، وتغلبك وساوس

(٢٧١) نشرتها مجلة المجتمع – العدد / ١٤١٦ بتاريخ ١٤٢١/٦/٧هـ .





النفس، واعتقد يا عزيزي أن القلب المعمور بمراقبة الله تبارك وتعالى لا يقربه شيطان أبداً، فإن خلا من معرفة الله استهوته الشياطين، وسكنته الشهوات والأهواء، فحصِّن قلبك بالمراقبة، واستعن على ما يحيط بك باليقظة، ولا تكن من الغافلين .

٢ - **أدِّ فرائض الله التي افترض عليك**، ولا تهملها اتكالاً على القضاء، أو اشتغالاً بالأعمال، أو تعللاً بالمعاذير، فإنَّ ذلك من خداع النفس، ونزغات الهوى، قال تعالى : { وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ } [٢٧٢] .

واعلم – يا عزيزي – أنه ما تقرَّب أحد إلى الله بمثل ما افترض عليه، كما جاء في حديث البخاري[٢٧٣] t ، فإياك إياك إهمال الفرائض، والتكاسل عن الواجبات التي هي لله عليك، فأقم الصلاة، وأحسن الصوم، إلا أن تعجز عجزاً تاماً عن ذلك فيكون لك مندوحة من قوله تعالى : { وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ } [٢٧٤] .

واحذر أن تتخذ ذلك ذريعة للتقصير، فَلأن تصوم بمشقةٍ وأنت في ديار الغرب أعظم لأجرك، وأجزل لثوابك، وأرضى لربك، وأزكى لنفسك، فلا تقربن الفطر إلا مغلوباً لا تجد إلى الصوم حيلة، ولا تستطيع إليه سبيلاً، ولا أزيدك بالفرائض وصية، فإنها رأس المال، وما بالك بمن أضاع رأس ماله كيف يكون حاله مع الرابحين غداً ؟.

٣- **اقض ما استطعت من وقتك في الطاعات من النوافل**، فأدِّ سنن الصلوات، وأكثر من الاستغفار، وسبح باسم ربك العظيم، واعلم أنَّ دعاء المرء وهو على سفر وفي اغتراب مستجاب، فأكثر من الدعاء تضرعاً وخيفة، وأدم ذكر الله تبارك وتعالى، فقد أوصى الرسول ﷺعلياً كرَّم الله وجهه بأن

---

(٢٧٢) سورة ص آية/ ٢٦ .

(٢٧٣) وهو الحديث القدسي الذي رواه البخاري : (وماتقرب إليَ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، ومايزال عبدي يتقرب اليَّ بالنوافل حتى أحبه ..) رواه البخاري رقم / ٦٠٢١ .

(٢٧٤) سورة البقرة آية/ ١٨٤ .





يظل لسانه رطباً بذكر الله(٢٧٥)، ولا تدع سبيلاً تستطيع أن تسلكها إلى الخير إلا سلكتها فإنَّ الطاعات مضاعفة الأجور، وذكرُ ربك بين الغافلين بين أبناء تلك الأمم نورٌ على نورٌ، فاغتنم هذا الوقت فهو موسم من مواسم الأرباح الأخروية لمن أراد أن يغتنم الفُرص، وينتفع بالمواسم .

٤ - **أكثر من تلاوة القرآن الكريم** بتفَهُّمٍ وتدبر فهو شفاء الصدور، وربيع القلوب، واجعل له منك ورداً تستفتح به يومك، وتختم به عملك، فنعم البدء، ونعم الختام .

٥ - **سترى من مباهج الحياة وزخرف الدنيا ما يستهوي القلب**، ويسترعي العين، ويخلب اللب، ويغلب ضعاف النفوس : فلا يفتتنك ذلك عن الفضيلة، ولا ينسينك الآخرة، قال تعالى : {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ } (٢٧٦) .

واعلم يا عزيزي أنَّ هذه المتع جميعاً لا تزن عند الله جناح بعوضة ولا تدل على شرف أو فضيلة، وإنما هي مطايا الشهوات، ومهاوي الفتن، فاحذر أن يستخفك الشيطان فتردى في مهواة الإثم والفتنة، واذكر دائماً قول الله تبارك وتعالى : { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ } (٢٧٧) .

وكتاب الله يتلو هذه الحقائق صباح مساء، فلا تكن ممن يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة، ويخدعه القشر عن اللباب، وما من لذة من هذه اللذائذ التي جاءت بها المدنية المعاصرة إلا تعقبها آلام تربو على

---

(٢٧٥) تم التخريج.

(٢٧٦) سورة طه الآيات / ١٣١ – ١٣٢ .

(٢٧٧) آل عمران : ١٤ .



حلاوتها [٢٧٨]، وتذهب بعذوبتها، فتجنَّب مظاهر دنياهم، ولا تأخذن بقيادك ولا تخدعن بها، لتكون من الفائزين.

٦ - **يا عزيزي** : إنَّ القوم يرون بعض ما حرم الله علينا حلالاً لهم فلا يتحرجون عن مقارفته، ولا يتوقفون عن ارتكابه، فلا توافقهم على أهوائهم، ولا تخالطهم في آثامهم، فإنَّ ذلك لا ينجيك من مؤاخذة الله تعالى، ولا يصلح لك حجة يوم القيامة .

لا تصاحب فتياتهم، ولا يكن بينك وبينهن صداقة خاصة، ولا صلة عاطفية، فإن ذلك إن كان من غيرك جرماً واحداً فهو منك جرمان، وأنت تعلم تأويل ذلك .

والعهد بك العفاف والأمانة، وإنما ذكرتُ ذلك تنبيهاً على مزالق الإثم حتى لا تزلَّ قدم، وفي طهارتك الغناء، وفي شرف نفسك الكفاء .

الخمر : لا تقربها ولا تتعلل بالجو، فإن الله حين حرَّمها كان يعلم الأجواء جميعاً فلم يستثنِ بلداً دون بلد، ولا أمةً دون أمة، ولكنه حرمها تحريماً لا شك فيه، ولا استثناء معه، فإياك أن تحتل من بطنك مكاناً فتظل بقعة سوداء في ذلك الأديم الطاهر، وكن أشد ما تكون عزيمة أمام الكأس الأولى فإنها إن خامرت عقلك استتبعت الثانية والثالثة، فانزلقتَ إلى هاوية لا تجد لك معها خلاصاً، وجنيتَ بذلك على نفسك وعلى غيرك جناية إن كَفَّرتها التوبة فمن لك بسابق الطهر وروعة الحصانة ؟!

مطاعم القوم المحرمة من خنزير وميتة : لاتذق منها شيئاً، ولك في الحلال مندوحة وغنى، فلا تتذوق الحرام ولا ينبت لحمك منه، فكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به، وما حرَّمه الله إلا وهو خبيث، قال تعالى : { وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ } [٢٧٩]، فانصرف عن الخبائث إلى الطيبات .

المقامر والملاهي ودور العبث : وقتك أغلى من الضياع فيها، فاحرص عليه أن يضيع في غير ثمرة تستفيدها أو خير تفعله، ولقد رأيت من قال : (إنَّ الوقت من ذهب) فلم يعجبني ذلك، لأنَّ الوقت أغلى من الذهب، الوقت هو الحياة، وهل حياتك إلا هذه الساعات التي لا تدري متى تنتهي !فاحرص

---

(٢٧٨) تربوا: أي تزيد، فهي لذة ساعة وحسرة وندامة إلى قيام الساعة إن لم يتداركها بتوبةٍ نصوح .

(٢٧٩) سورة الأعراف آية / ١٥٧ .





يا عزيزي أشد الحرص على أوقاتك ولا تصرفها إلا في الجد، وروِّح نفسك بالحلال من المروحات، وإنَّ في السماء لروحاً، وإنَّ في الأرض لجمالاً، وإنَّ في الحدائق لنضرة، وإنَّ في البحر لعظمة، وإنَّ في نفسك لآية، وإنَّ من الهواء لغذاء، فخذ من ذلك كله راحة نفسك، واستجمام خاطرك، ولا تكثر من اللهو والغفلة فإنها حجاب عن الخيرات، ومدعاة إلى السوء .

٧- **كن مع القوم ناقداً بصيراً ومنصفاً خبيراً،** لا تستهوينك محاسنهم فتنسى مساوئهم، ولا تؤلمنك مساوئهم فتنسى محاسنهم، بل ادرسهم دراسة الفاحص المدقق، وأحط بكل ما تستطيع من شؤونهم علماً، ثم انقد ذلك كله بعين البصيرة فما كان حسناً فاهد إلى أمتك وقومك وعد به مظفراً مؤيداً، وما كان غير ذلك فألقه إليهم، ولا تُقم له وزناً، ولا تأت إلا وقد نفضت منه يدك، وفرغت خاطرك.

٨- **وستجد قوماً يعيبون دينك،** وينالون من نبيك e ، ويجهلون قرآنك وينتقصون قومك، فلا تقعد معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإن دعاك الأمر إلى النقاش فجادلهم بالتي هي أحسن، وأوضح لهم ما تعلم في ذلك من المحاسن، وإياك والمراء المؤدي إلى البغضاء والفتنة .قال تعالى : { إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ } (٢٨٠) .

٩- **واعلم – يا عزيزي – أنَّ الدعوة الفعلية أجدى من الدعوة القولية،** وأنَّ دفاعك عن دينك وأمتك، ودعوتك لهما بحسن خلقك، وكمال نفسك، واستقامة مسلكك أجدى وأنفع من كل شيء، وإن أتيح لك سبيل القول والمحاضرة في مجامع القوم وأنديتهم فاستعد لذلك، وتخيَّر ما لا يثير الفتنة ولا يجرح كرامة، ولا تتهيب الموقف فإنَّ معونة الله مع المخلصين، وكن إيجابياً فلا تقدح في عقائد القوم ولكن جلِّ لهم محاسنهم، واكشف لهم عن عقائدنا، وحسبك هذا دعاية وتشويقاً .

أما بعد : فإنَّ في القول فضل سعة، وكنت أحب أن أستمر إليك مناجياً لولا أني أخشى أن أطيل عليك فتنسى، فإن كثير الكلام يُنسي بعضُه بعضاً، **رافقتكما السلامة ورعاكما الله، وأعادكما على خير ما يحب لكما المخلصون، ونستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم .**

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(٢٨٠) سورة القصص آية / ٥٦ .





وصية الشيخ علي الطنطاوي لأخيه

مقتطفات من مقالة لفضيلة الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله – نشرت قبل سبعين عاماً سنة ١٩٣٧م يوصي فيها أخاه المبتعث إلى فرنسا للدراسة بوصايا عظيمة، تكللَّت بأسلوب بديع مؤثر، وإليك مختارات من هذه الوصية (٣٨١) .

(يا أخي ! كنتُ مسروراً لأني أعلم أنَّك ذاهب تطلب العلم وتخدم الوطن وتقوم بالواجب، ولكن لم يكد يتحققَّ الأمر ويزَفِ ُ الرحيل ..حتى أدركتُ الحقيقة الواقعة وعلمتُ أنَّك مودع نازح، فغلبتْ عليَّ العاطفة، وفاضت نفسي رقة وحناناً .

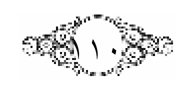
لم أستطع أن أودعك، ولم أقوَ على رؤيتك وأنت في الباخرة، ماخرةٌ بك عباب اليمِّ، تنأى بك عنِّي ..إني أتخيَّلك الآن وحيداً فريداً لا ترى حولك قريباً ولا صديقاً، تطلُّ من شرفة الباخرة فلا ترى إلا السماء والماء ..وأتصورك في ذلك البلد الغريب الذي لا ترى فيه إلا وجوهاً تنكرها، وأنت الذي لم يفارق بلده قط، ولم يغب عن أهله ليلة، ولم يسافر وحده أبداً.

فانتبه لنفسك واستعن بالله، فإنَّك ستقدم على قوم لا يبالي أكثرهم بالعفاف ... وأنت لا تعرف من النساء إلا أهلك معصومات كالدر المكنون ..فإياك أن تفتنك امرأة منهنَّ عن عفَّتك ودينك ..هي والله الحيَّة : ملمس ناعم، وجلد لامع، ونقش بارع، ولكن في أنيابها السمُّ .

إنَّ الله قد وضع في الإنسان هذه الشهوة وهذا الميل، وجعل له من نفسه عدواً لحكمة أرادها، ولكنه أعطاه حصناً حصيناً يعتصم به، وسلاحاً متيناً يدرأ به عن نفسه، فتحصَّن بحصن الدين، وجرِّد سلاح العقل تُوَقَّ الأذى .. واعلم أنَّ الله جعل من الفضيلة مكافأتها : صحة الجسم، وطيب الذكر، وراحة البال ؛ ووضع في الرذيلة عقابها: ضعف الجسد، وسوء القالة، وتعب الفكر، ومن وراء ذلك الجنة أو جهنَّم .

فإن عرضت لك امرأة بزينتها وزخرفتها فراقب الله، وحكِّم العقل، واذكر الأسرة والجدود ..لا

(٣٨١) صور وخواطر، ص /٤١-٤٦.





تنظر إلى ظاهرها البراق، بل انظر إلى نفسها المظلمة القذرة، وما فيها الخبيث المنتن، أتأكل من إناء ولغت فيه كل الكلاب ؟

ثمَّ إنَّك سترى مدينة كبيرة، وشوارع وميادين، ومصانع وعمارات، فلا يهولنك ما ترى، ولا تحقر حياله نفسك وبلدك كما يفعل أكثر من عرفنا من روَّاد باريس، واعلم إنَّها إن تكن عظيمة، وإن يكن أهلها متمدنين، فما أنت من أواسط أفريقية .. وإنما أنت ابن المسجد والحضارة، ابن الأساتذة الذين علَّموا هؤلاء القوم ..

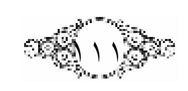
إنَّ الدهر يا أخي دولاب، والأيام دُوَل، وإنَّ في الشرق أدمغة وسواعد ومال، ولكن ينقص الشرق العلم، فاحمله إليه أنت وأصحابك ..واعلموا أنَّ مهمتكم ليست ورقة تنالونها ..ولكن أمة تحيونها .

وبعد يا أخي، فاعلم أنَّ أثمن نعمة أنعمها الله عليك هي نعمة الإيمان، فاعرف قدرها، واحمد الله عليها، وكن مع الله ترَ الله معك، وراقب الله دائماً، واذكر أنَّه مطَّلع عليك، يعصمك من الناس، ويُعذك من الشيطان، ويوفقك إلى الخير.

وفي اللحظة التي تشعر فيها أنَّ دينك وأخلاقك في خطر، احزم أمتعتك وعُد إلى بلدك ..وانفض يدك من هذا العلم إن كان لا يجيء إلا بذهاب الدين والأخلاق .

أستودع الله نفسك ودينك وأخلاقك،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .





وصية الشيخ حسنين مخلوف لولده المغترب

من بدائع وصايا الآباء للأبناء هذه الرسالة التي أرسلها فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي مصر - رحمه الله - إلى ولده الشاب عبد الهادي، الذي سافر إلى أمريكا في بعثة دراسية لنيل الدكتوراه في الاقتصاد، وذلك سنة ١٩٥٠م .

وإليك نص هذه الرسالة [٢٨٢].

(حفظك الله من كل سوء، ووقاك كل ضَيْر، ووجهك للخير، ووفقك لما فيه رضاه، وبلَّغك كل ما تتمناه .

اعلم أنَّك ستمكث في هذه الدنيا الجديدة سنين عديدة، مغترباً عن الأهل والوطن في سبيل العلم، ونيل أرقى الشهادات الجامعية التي تفتح لك طريق الحياة، التي يعظم فيها قدرك ويرفع ذكرك، فمطلبك عظيم وشاق، يقتضي منك مثابرة وجهادا، وصبراً وشجاعة، وعزماً وهمة، فكن كما ننتظر منك رجلاً جلداً قوياً، مجاهداً صبوراً .

واستعن على ذلك بتقوى الله تعالى في سِّرك وعلانيتك فهو الفتاح العليم، الذي بيده مقاليد الأمور، وبتوفيقه تذلِّل الصعاب وتدرك الآمال، واستعن بالصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وبتلاوة القرآن فإنه جلاء القلوب، وشفاء الصدور، والهدى والنور . [٢٨٣]

واجتنب قرناء السوء وخلطاء الفتنة، وما حرم الله تعالى من طعام وشراب ولذائذ، فلن يستقيم لك أمر إذا ألمت بمحرَّم يغضب الله واحذر وسوسة الشيطان وتزيينه فإنه رصد للمؤمنين .

واحذر ما يبرر به المفسدون عصيانهم من معاذير كاذبة وأعاليل فاسدة، واحذر اتباع الهوى فإنه إن

---

(٢٨٢) مجلة الإسلام، القاهرة ١٥/١/١٣٧٠هـ، ٢٧ أكتوبر ١٩٥٠ العدد ٣ سنة ٢٠ .

(٢٨٣)





كان في أوله رخاء فهو في آخره عصف وإعصار .

واعلم أنك في تربيتك ونشأتك وبيئتك يُنظر إليك هنا وهناك نظرة احترام، إذا اعتصمت بدينك وتقاليدك، واحترمت نفسك بالاستقامة الجادة، وكنت أسوة حسنة لغيرك بدلاً من أن تكون إمَّعة تتبع غيرك وتنقاد إليه .

ما كلُّ ما هنالك حَسَنٌ، وما كلُّ ما هنالك قبيح، فخذ مما ترى وتعلم أحسنه وأنفعه، واجتنب أقبحه وأضره، وعد إلينا موفور الكرامة، على الهمة بما عرف عنك من الاستقامة، واحرص على أن تحتل من نفوس أساتذتك محل الكرامة والتقدير، ومن نفوس إخوانك وزملائك محل الاعتزاز والتوقير، وأن تظهر أمام الجميع بمظهر الرجولة الكاملة، والاستقامة التامة، والإباء والعزة والشرف الرفيع، وافحص ودقِّق النظر في الأمور .

ويجب أن تكاشفني بكل ما في نفسك وتقفني على خطواتك لأُسَرَّ بك وأوجهك ما استطعت إلى ما علَّمتنا التجارب وأفادنا الزمن، واقرأ هذه الوصية مراراً واتخذها منهاجاً ودستوراً .

واحمد الله تعالى أن سافرتَ ولك والدٌ يرعاك بعطفه ويدعو الله لك أن يوفقك، ولك والدة حنون كلها عطف ورحمة ومحبة وشفقة عليك، وأمل في أن تكون دائماً على ما نعهد فيك من رجولة واستقامة، ولك إخوة وأقارب وأصهار وأصدقاء كلهم آمال فيك، والله يفتح عليك ويوفقك ويسدد خطاك).

